امْـلَأْ وَقْـتَكَ

بِالاسْـتِـغْـفَـارِ

إِعْدَادُ

عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ يُوسُفَ سَعَادَةَ

قال ﷺ : «لَوْ أَنَّ رَجُلاً يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرِمًا فِي مَرْضَاةِ الله ﷻ لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» «السلسلة الصحيحة : ٤٤٦».

قَرَأَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

الشَّيْخُ الدُكْتُورُ/ أَبُو العَالِيَةِ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ عَلِيِّ بِنِ الزُّبَيْرِ المَحَسِيُّ

الشَّيْخُ الدُكْتُورُ/ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُخْتَارٍ- كَبْرَانَ

+



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إلـٰه وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أمَّا بعد : «فهذه رسالة رشيقة، وعجالة أنيقة؛ اسمها يُخبر عن رسمها، وفحواها يُشعر بمعناها»(١) أُقدِّمها بين يدي القارئ الكريم.

فإنَّ الاستغفار باب عظيم من أبواب الخيرات، وعمل جليل من أفضل القربات، وتعبُّد وافتقار لرَبِّ الأرض والسموات، أهميته كبيرة، وبركته غزيرة؛ به تُكشف الكروب، وتُمحى الذنوب، وتُستر العيوب، وتطهر القلوب، ويُنال المطلوب، وتُبسط الأرزاق، وتُقضى الحاجات، وتُرفع الدرجات، وتُقال العثرات، وتُضاعف الحسنات.

فما أشدَّ حاجتَنا إلى الاستغفار! وما أعظمَ ضرورتَنا إلى التعرُّف على أسراره ومعانيه والمحافظة عليه!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : «الاستغفار يُخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابد لله، والعارف بالله، في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علمًا بالله، وبصيرةً في دينه وعبوديته؛ بحيث يجد ذلك في

---

(١) ما بين القوسين من كلام أبي الحسنات اللكنوي ﵀ ،انظر كتابه (الرفع والتكميل «ص:٤٩»).

طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقَّها؛ فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطرٌ إليه دائمًا في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية»[(١)].

ولما كان الاستغفار بهذه الأهمية الكبيرة، وتلك المنزلة العظيمة؛ رأيت أن أجمع فيه رسالة أنتفع بها أنا ومن يقرؤها من المسلمين.

فلما أجمعت أمري؛ استخرت ربي فيما أردت، ثم شرعت مستعينًا به تعالى على ما قصدت.

فما كان من حق وصواب؛ فبتوفيق من ربي، وما كان من خطأ أو إخلال، فبتقصير من نفسي.

فاللَّهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وإني لأشكر الله تعالى على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله وتأييده، ثم أشكر مشايخي وإخواني الذين قرؤوا هذا البحث؛ فأفدت من ملاحظاتهم، وأخصُّ بالشكر منهم: فضيلة الشيخين الكريمين اللذَين قرآه وقدَّما له : الدكتور أبو العالية فخر الدين بن الزبير المحسي ، والدكتور أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مختار —؛ فجزاهم الله خيرًا ، وجعلهم مباركين أينما كانوا .



(١) (مجموع الفتاوى) لابن تيمية «١١/ ٦٩٦».



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى إلـٰه وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن ذكر الله تعالى من أيسر العبادات، وأجلِّ القربات؛ فهو أمرُ الله تعالى لعباده المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١)، وهو العروة الوثقى إذا تكاثرت شرائع الدين؛ كما أوصى به النبي ﷺ بقوله: «**لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله**».

والذكر كلُّه متفرع عن كلمة التوحيد التي تتضمن النفي والإثبات؛ فهو تنزيه وتعظيم، وتخلية وتحلية، والاستغفار من جلائل ذلك؛ ففيه تخلية العبد من الشوائب، وبقية الذكر لتحليته بعيون المطالب.

ولعظيم فضل الاستغفار كان سببًا لدفع الشرور وجلب الخيور، في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ (٢)، وقال ﷺ: «من

(١) الأحزاب: ٤١.
(٢) نوح: ١٠ ـ ١٢.

أحب أن تسرَّه صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار».

والاستغفار مشروع في جميع الأحوال؛ بعد السيئات لحطها، وبعد الطاعات لجبر نقصها؛ وإصلاح نقضها؛ لذلك كان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال تعالى عن المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١)

وقال في الحج: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ (٢)، بل أمر الله تعالى نبيه بأن يختم حياته الإيمانية التعبُّدية والرسالية بالاستغفار؛ فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[سورة النصر].

بل كان الاستغفار هو دأبه ولهجه ﷺ في كل حين؛ فكان يستغفر في اليوم أكثر من مائة مرة، فإذا كان هذا الشأن مع الرسول الكريم الذي كرَّمه الله تعالى بأعظم تكريم؛ فغيره أولى بملازمة الاستغفار،مع أصل تفريطه في حق الجبار؛ كما قال تعالى: وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦]، وبخاصة في هذا الزمان؛ حيث كثرة الدواخل على الأسماع والأبصار، والعوارض على القلوب، التي تصرفها عن صفاء الإقبال على علام الغيوب.

ولكل هذه المعاني وغيرها كثير؛ فقد اغتبطت حينما شرفني الأخ الفاضل الشيخ عبدالله عثمان- وفقه الله- بنسخة من هذه الرسالة اللطيفة، الجامعة المنيفة، التي أجرى عليها قلمه وبصره، وأعمل فيها فكره ونظره، فانشرح لها صدري، واطمأن بها قلبي، وسكنت فيها نفسي، فكتبت هذه الكلمات المتناثرة كما تواردت على

---

(١) الذاريات : ١٧ ، ١٨.

(٢) البقرة : ١٩٩.

روعي؛ إشادة بجهده، وانتظامًا في سلكه.

فأسأل الله تعالى أن يجعلها له في ميزان حسناته، ويحط بها خطيآته، ويرفع بها درجاته، وكل من قرأها ونشرها.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

د. فخرالدين الزبير
كلية الدراسات القضائية والأنظمة
جامعة أم القرى - مكة المكرمة





تقديم فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مختار – كبران
حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام الأتـمَّان الأكملان على سيِّد المستغفرين نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد طالعت البحث الموسوم (**املأ وقتك بالاستغفار**) للشيخ الفاضل / عبد الله عثمان يوسف – وفقه الله – ؛ فألفيته جيدًا في مغزاه، ومؤصلًا في معناه؛ وهو يتعلق بذكرٍ عظيمٍ أمر به النبيون والمرسلون وفعلوه؛ فأسوةً بهؤلاء الرسل حرِيٌّ بنا أن نحافظ على هذا الاستغفار، وأن نكثر منه؛ لثمراته العظيمة، وفوائده الكثيرة.

كتبه / محمد عبد الله مختار
عضو هيئة التدريس بكلية جبرة العلمية
الخرطوم – السودان
بتاريخ : ١١/ ٦/ ١٤٣٩هـ

+

صورة تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مختار – كبران

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان على سيد المرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فقد طالعت البحث الموسوم: املأ وقتك بالاستغفار
للشيخ الفاضل/ عبدالله عثمان يوسف - وفقه الله -
فألفيته جيدًا في محتواه، وموفقًا في عنوانه
وهو يتعلق بذكر عظيم أمر به النبيون والمرسلون
وفعلوه، فأسوةً بهؤلاء الرسل حريٌّ بنا
أن نحافظ على هذا الاستغفار وأن نكثر
منه، لثمراته العظيمة وفوائده الكثيرة.

كتبه/ محمد عبدالله مختار
عضو هيئة التدريس بكلية جبرة
العلمية - الخرطوم - السودان
بتاريخ ١١/٦/١٤٣٩هـ



سبب اختيار الموضوع

إن مما دعاني لاختيار هذا الموضوع أسبابًا عدة؛ منها:

١. ما علمتُ من نفسي، واستشعرتُ في غيري؛ من شدة التقصير فيما خلقنا الله تعالى لأجله؛ وهو عبادته وطاعته على الوجه الذي يرضيه ﷻ .

٢. تنبيه المسلمين؛ طالما سيطر على كثير منهم الغفلة؛ بتضييعهم الأوقات فيما لا يعود عليهم بالخيرات، بل فيما يعود عليهم بالمضرات.

٣. ضرورة العباد إلى لزوم الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل في كل لحظة من لحظات الأعمار.

٤. ما في الاستغفار من الخيرات العظيمة والمصالح الكبيرة؛ الدينية والدنيوية والأخروية.

٥. رجاء حصول ثواب الدعوة إلى الله ﷻ ؛ فقد جاء في قول النبي ﷺ : «الدال على الخير كفاعله»[(١)].

٦. رجاء أن يجعل الله تعالى هذه الرسالة سببًا حاثًا لطلبة العلم والخطباء والدعاة؛ فيتناولوا هذا الموضوع في دروسهم وخطبهم ومحاضراتهم؛ ليكثر الخير ويعم النفع وتعظم الفائدة.

وعلى الله قصد السبيل، وهو الهادي والمؤيِّد بالدليل،
نعم المولى ونعم النصير

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي (٢٦٧٥)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٦٦٠)، وأصله عند مسلم (١٨٩٣) بلفظ آخر.



منهج البحث

* سرت في هذا البحث على اختيار ما صح من حديث رسول الله ﷺ دون ما سواه من الضعيف.
* عزوت الأحاديث إلى مصادرها من كتب السُّنَّة؛ فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما؛ فإني أذكر موضعه، وما كان في غير الصحيحين؛ فإني أذكر تخريجه من أشهر مراجعه، ثم أذكر موضع الحكم عليه؛ من المصادر التي عُنيت بالتصحيح والتضعيف.
* عزوت أقوال العلماء إلى مصادرها.
* علقت على بعض الأحاديث، التي تحتاج إلى تعليق؛ وهو قليل جدًّا.
* ذكرت بعض المسائل الجانبية المفيدة للقارئ.





خطة البحث

قسمت هذه الرسالة إلى ثلاثين مبحثًا وخاتمة؛ وهي كالآتي:

المبحث الأول : في تعريف الاستغفار.

المبحث الثاني : في بيان أهمية الاستغفار .

المبحث الثالث : في بيان حكم الاستغفار .

المبحث الرابع : في بيان شروط الاستغفار .

المبحث الخامس: في ذكر الحكمة من الاستغفار .

المبحث السادس: في ذكر آداب الاستغفار .

المبحث السابع:في ذكر مواضع الاستغفار وأوقاته .

المبحث الثامن : في ذكر ثمرات الاستغفار .

المبحث التاسع : في أن الاستغفار يمحو الذنوب وإن تكررت .

المبحث العاشر: في ذكر أفضل أدعية الاستغفار .

المبحث الحادي عشر: في ذكر الفرق بين الاستغفار والتوبة .

المبحث الثاني عشر: في أن الاستغفار مع التوحيد .

المبحث الثالث عشر: في أن الاستغفار مع الصبر .

المبحث الرابع عشر: في أن الاستغفار مع الشكر .

المبحث الخامس عشر: في أن الاستغفار مع التسبيح .

المبحث السادس عشر: في ذكر الفرق بين استغفار الأبرار واستغفار المقرَّبين .

المبحث السابع عشر: في ذكر ما يستغفر العبد منه .

المبحث الثامن عشر: في ذكر الاستغفار من الغيبة .

المبحث التاسع عشر: في طلب الاستغفار من الصالحين .

+





المبحث الأول في تعريف الاستغفار

الاستغفار لغةً : هو طلب المغفرة؛ فالألف والسين والتاء للطلب.

والمغفرة: هي وقاية شرِّ الذنب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «فإن المغفرة معناها وقاية شرِّ الذنب؛ بحيث لا يعاقب على الذنب؛ فمن غُفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرَّد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يُغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب»[1][2].

---

(١) (مجموع الفتاوى) (١٠/ ٣١٧).

(٢) مما يتعلق بهذا المبحث مسألتان:

المسألة الأولى: الفرق بين تكفير السيئات ومغفرة الذنوب:

فإنهما قد جاءا في كتاب الله تعالى منفردين في غير موضع، وأما مجيئُهما مقترنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾[آل عمران:١٩٣] .

قال ابن القيِّم رحمه الله : «فالذنوب: المراد بها الكبائر، والمراد بالسيئات: الصغائر؛ وهي ما تعمل فيه الكفارة من الخطأ وما جرى مجراه؛ ولهذا جعل لها التكفير؛ ومنه أخذت الكفارة؛ ولهذا لم يكن لها سلطان ولا عمل في الكبائر في أصح القولين؛ فلا تعمل في قتل العمد، ولا في اليمين الغموس في ظاهر مذهب أحمد وأبي حنيفة.

والدليل على أن السيئات هي الصغائر، والتكفير لها: قوله تعالى:﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾[النساء:٣١] ، وفي (صحيح مسلم) (٢٣٣) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» ولفظ =



المبحث الثاني
في بيان أهمية الاستغفار

إن للاستغفار أهميةً كبيرةً، وفضلًا عظيمًا، ومنزلةً رفيعةً في الإسلام؛ ولهذا كثر ذكره في الوحيين العظيمين: القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.

١. فتارة يأمر الله تعالى به؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

=(المغفرة) أكمل من لفظ (التكفير)؛ ولهذا كان مع الكبائر، والتكفير مع الصغائر؛ فإن لفظ (المغفرة) يتضمن الوقاية والحفظ، ولفظ (التكفير) يتضمن الستر والإزالة، وعند الإفراد: يدخل كلٌّ منهما في الآخر؛ كما تقدم في قوله تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[محمد:٢]، يتناول صغائرها وكبائرها، ومحوها ووقاية شرِّها، بل التكفير المفرد يتناول أسوأ الأعمال؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾[الزُّمَر:٣٥]» (مدارج السالكين) لابن القيِّم (١/ ٢٥٥).

المسألة الثانية: هنالك مقامان:

الأول: المحو؛ كما في قوله ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» رواه الترمذي وصححه (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، والحاكم (١٧٨)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (٩٧)؛ وهذا مقام العفو.

الثاني: التبديل؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان:٧٠]؛ وهذا مقام المغفرة. ومن تأمل المقامين وجد فرقًا لطيفًا؛ فالمغفرة فيها زيادة إحسان وتفضل على العفو؛ وكلاهما خير وبشرى. انظر (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين) لسليم الهلالي (١/ ٥١).

(١) النساء: ١٠٦.

(٢) المزمل: ٢٠.

٢. وتارة يَمدح أهله؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[(١)]،وقوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾[(٣)].

٣. وتارة يُرغِّب عباده في الاستغفار؛ فيخبرهم أنه غفور رحيم يغفر للمذنبين المستغفرين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[(٤)].

٤. وتارة يُرغِّب في طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[(٥)].

٥. وتارة يذم المعرضين عن استغفار الرسول لهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[(٦)].

٦. وتارة يأمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[(٧)]، وقوله: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٨)]، وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾[(١)]، وقوله:

---

(١) آل عمران:١٧.

(٢) الذاريات : ١٧ ، ١٨.

(٣) آل عمران: ١٣٥.

(٤) النساء: ١١٠.

(٥) النساء: ٦٤.

(٦) المنافقون: ٥.

(٧) آل عمران: ١٥٩.

(٨) النور: ٦٣.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢].

٧. وتارة يمدح الملائكة المقربين من حملة العرش ومن حوله ؛ لأجل إيمانهم وتسبيحهم واستغفارهم للمؤمنين؛ كما في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٣].

٨. وتارة يمدح التابعين بإحسان؛ لأجل استغفارهم لسلفهم الصالح؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[٤].

٩. وتارة يحث النبيُّ ﷺ أُمَّتَه على الإكثار من الاستغفار؛ كما في حديث عبد الله ابن بسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»[٥]، وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**من أحب أن تسرَّه صحيفته؛ فليكثر فيها من الاستغفار**»[٦].

---

(١) سورة محمد: ١٩.

(٢) الممتحنة: ١٢.

(٣) غافر: ٧- ٩.

(٤) الحشر: ١٠.

(٥) رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، وصححه المنذري والألباني في (صحيح الترغيب) (١٦١٨).

(٦) رواه الطبراني في (الأوسط) (٨٣٩)، والضياء في (المختارة) (٨٩٢)، وحسنه الألباني، انظر (الصحيحة) (٢٢٩٩).

١٠. وتارة يُبيِّن النبيُّ ﷺ مكانة الاستغفار وأهميته؛ كما في قوله ﷺ : «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[(١)].

قال المحدِّث الألباني رحمه الله : «ليس المقصود من هذه الأحاديث -بداهة- الحض على الإكثار من الذنوب والمعاصي، ولا الإخبار فقط بأن الله غفور رحيم، وإنما الحض على الإكثار من الاستغفار؛ ليغفر الله له ذنوبه؛ فهذا هو المقصود بالذات من هذه الأحاديث»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائمًا...».

وقال أيضًا : «**إذا أحب لله عبدًا ألهمه التوبة والاستغفار؛ فلم يصر على الذنوب**»[(٣)].



---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) (السلسلة الصحيحة) (٤/ ٦٠٥).

(٣) (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لابن تيمية (ص: ٨٦ - ٨٧).



المبحث الثالث
في بيان حكم الاستغفار

الاستغفار مطلوب من العباد في كل وقت وحال، وقد يتأكد طلبه في بعض الأحيان فيكون واجبًا؛ وذلك عند الوقوع في الذنب؛ والذنب إما ترك واجب أو فعل محرم؛ ولهذا لما وقع الأبوان الكريمان آدم وحواء عليهما السلام في الخطيئة فأكلا من الشجرة؛ فزعا إلى الاستغفار قائلَين: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل أنه قال: « ... **يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا؛ فاستغفروني أغفر لكم ...**»[2].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن صاحب الشِّمال ليرفع القلم ستَّ ساعات عن العبد المسلم المخطئ – أو المسيء –، فإن ندم واستغفر منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**»[3].

وكذا يجب على المصلِّي في الجلوس بين السجدتين؛ على قول بعض العلماء[4].

ويتأكد طلبه واستحبابه في مواضع كثيرة؛ سيأتي ذكرها في المبحث السابع.

وقد يُطلب بصيغة معينة؛ كما في كفارة المجلس، وعند الخروج من الخلاء.

---

(١) الأعراف: ٢٣.

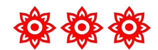
(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) رواه الطبراني في (الكبير) (٧٧٦٥)، وحسنه الألباني في (الصحيحة) (١٢٠٩).

(٤) انظر (المغني) لابن قدامة (٢/ ٨٨).

وقد يُقيَّد بعدد معين؛ كما في دبر الصلوات الخمس؛ فيستغفر المصلِّي بعد سلامه مباشرةً ثلاث مرات؛ قائلًا: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله...

ويتأكد طلبه وضرورته من النساء؛ لما يقعن فيه من المخالفات التي غلبت على كثير منهن؛ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن من الاستغفار؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار**»، قالت امرأة منهن: مالنا أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن وتكفرن العشير...**»[1].



(١) رواه مسلم (٧٩).



المبحث الرابع
في بيان شروط الاستغفار

إن للاستغفار شروطًا لابدَّ منها، فإذا أراد العبد أن يحقق نفعه، ويلمس أثره، ويقطف ثمره ؛ فليحرص على توفرها عند استغفاره الله تعالى؛ فمن هذه الشروط:

١. الإخلاص لله تعالى؛ فهو شرط في جميع القربات؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[(١)].

وقال النبي ﷺ : «**إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلَّا ما كان له خالصًا وابتُغي به وجهه**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «والحسنات كلها مشروط فيها الإخلاص لله، وموافقة أمره باتباع رسوله، والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع، فمن أحس بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تقلب بقلبه؛ فعليه بالتوحيد والاستغفار؛ ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص»[(٣)(٤)].

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) رواه النسائي (٣١٤٠)، وجوَّد إسناده المنذري، وحسنه الألباني في (صحيح الترغيب) (٨).

(٣) (الاستغفار) لابن تيمية (ص: ٤٤).

(٤) لا ينافي الإخلاصَ لله تعالى التشريكُ في عبادة الاستغفار؛ بل ذلك جائز لا بأس به؛ لوجود الدليل عليه، فإن الأصل في العبادات عدم التشريك إلا بدليل، وقد دلَّت الأدلة على جوازه في صورتين:

الصورة الأولى: أن يفعل عبادة لأجل تحصيل عبادة أخرى؛ كما في الحديث : «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

فهنا أمر بالصيام لأجل عبادة أخرى؛ وهي حفظ النفس من المعاصي والحرام.

الصورة الثانية: أن يكون الباعث للعبادة ابتغاء ما عند الله والمنفعة الدنيوية؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ، ١٢] ، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ، ٣] ، وقوله في الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة:١٩٨] ، وقوله: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾[الحج:٢٧] .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : «من قتل قتيلًا له عليه بيِّنة؛ فله سلبه» رواه البخاري (٤٣٢١)، ومسلم (١٧٥١) ، وقوله : «**من سرَّه أن يبسط له رزقه، أو ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**» رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

فإن مثل هذا يحث على الاجتهاد في العمل، وقد خرج النبي ﷺ بأصحابه يوم بدر لأخذ العير، ولا ينافي ذلك إرادتهم إعلاء كلمة الله، فأراد الله لهم قتال النفير؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[الأنفال:٧] ، فالتشريك في الصورة الأولى أفضل من عدمه؛ لكونه يجمع بين عبادتين.

١. وأما التشريك في الصورة الثانية فجائز، لكنه ينقص الأجر؛ كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**ما من غازية تغزوا في سبيل الله فيصيبون الغنيمة؛ إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة؛ تم لهم أجرهم**» رواه مسلم (١٩٠٦)، وقال أيضًا : «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة؛ فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة...**» رواه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)؛ فهذا الحديث يدل بمفهومه على أنه لو خرج يريد الصلاة ويريد أمرًا دنيويًا في طريقه؛ فإن أجره ينقص.

٢. فالنية إذا تجردت عن التشريك خالصة لله، لا يريد صاحبها إلا أجر الآخرة، ولم يحصل له نفع دنيوي – كالغنيمة في الجهاد، والمتاجرة والربح في رحلة الحج-؛ أعطي صاحبها الثواب كاملًا.

٣. وإذا تجردت النية عن التشريك خالصة لله عز وجل ، ثم حصل لصاحبها نفع دنيوي لم يلتفت

إليه قلبه أصلًا؛ فهذا لا ينقص من أجره شيء انظر (التمهيد) لابن عبد البر (١٠/ ١٠،٩).

٤. وأما إذا كان القصد من العمل الدنيا وتحصيل أغراضها، ولم يلتفت العامل لأجر الآخرة؛ فهذا ليس له أجر على هذا العمل في آخرته؛ كما في قوله ﷺ : «**بشِّر هذه الأُمَّة بالسناء والتمكين في الأرض والرفعة في الدين والنصر، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب**» رواه أحمد وابنُه في زوائد (المسند) (٥/ ١٣٤)، وابن حبان في (موارد الظمآن) (٢٥٠١)، وصححه الحاكم (٧٨٦٢) ووافقه الذهبي، وأقره المنذري، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (٢٣).

قال العلَّامة عبد الرحمن السّعدي رحمه الله في كتابه (القول السديد) (ص: ٨٥) : «وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أعراضها وأغراضها؛ فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة؛ فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن؛ فإن المؤمن وإن كان ضعيف الإيمان لا بدَّ أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا؛ والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمنًا؛ فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص؛ لفقده كمال الإخلاص.

وأمَّا من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا، ولكنه يأخذ على عمله جعلًا معلومًا يستعين به على العمل في الدين؛ كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها؛ فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية؛ كالزكوات وأموال الفيء وغيرها، جزءًا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة».

للمزيد من الفائدة في هذا المبحث انظر (التمهيد) (١٠/ ١٠،٩)، و(الفروق) للقرافي (الفرق الثاني والعشرون والمائة بين قاعدة الرياء في العبادات وبين قاعدة التشريك في العبادات) (٣/ ٩- ١٢)، و(فتح الباري) لابن حجر (كتاب الجهاد – باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) (٦/ ١١-١٣)، و(كتاب النكاح- باب قول النبي ﷺ : «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج...**» (٩/ ١٣٥)، و(سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام) للصنعاني (كتاب الجهاد) (٤/ ٢٠٤ – ٢٠٥)، و(قواعد ومسائل في توحيد الإلهية) لعبد العزيز الريس (ص:٣٠ –٣٤).

+

٢. عدم الإصرار على الذنب؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[(١)].

والإصرار: عقد القلب على ارتكاب الذنب متى ظفر به؛ فهذا الذي يمنع مغفرته[(٢)].

قال ابن القيِّم رحمه الله : «وأما من أصرَّ على الذنب وطلب من الله مغفرته؛ فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب»[(٣)].

«وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قوله : «ما أصرَّ من استغفر، وإن عاد في اليوم والليلة سبعين مرة»[(٤)]؛هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ؟ أو أنه إذا استغفر ينوي بالقلب ألا يعود إلى الذنب؟...

فأجاب: الحمد لله، بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ كما في الحديث الآخر : «**لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**»[(٥)]، فإذا أصرَّ على الصغيرة صارت كبيرة، وإذا تاب منها غفرت...»[(٦)].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : «وأمَّا استغفار اللسان مع إصرار القلب على

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) (مدارج السالكين) (١/ ٢٣١).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٥٢).

(٤) حديث ضعيف؛ ضعفه الترمذي (٣٥٥٩)، وانظره في (المقاصد الحسنة) للسخاوي (٩٣٠)، و(ضعيف الجامع) للألباني(٥٠٠٤)، و(موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة) لعليٍّ الحلبي (٢١٥٥٣).

(٥) حديث ضعيف؛ انظره في (السلسلة الضعيفة) (٤٨١٠)، و(ضعيف الجامع) (٦٣٠٨).

(٦) (مجموع الفتاوى) (١١/ ٦٩٩).

الذنب؛ فهو دعاء مجرَّد، إن شاء الله أجابه، وإن شاء رده»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ فيه إشارة إلى أن من شروط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب، وإلّا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب»[(٢)].

وأما قول بعض أهل العلم : «الإصرار يضاد التوبة، لكن لا يضاد الاستغفار بدون توبة»[(٣)]؛ فهذا فيه أن الاستغفار مع الإصرار لا ينعدم أثره بالكلية؛ لأنه خير من السكوت، ويعتاد صاحبه على قول الخير، لكنه يكون قليل النفع ضعيف الأثر.

٣. حضور القلب حال الاستغفار؛ فإن الاستغفار نوع من الدعاء، ويشترط في الدعاء كون القلب حاضرًا؛ لقوله ﷺ : «... **فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ**»[(٤)].



(١) (جامع العلوم والحكم) لابن رجب (٢/ ٤٠٩).

(٢) (فتح الباري) لابن حجر (كتاب الدعوات – باب فضل الاستغفار) (١١/ ١١٦).

(٣) انظر (مجموع الفتاوى) (١٠/ ٣١٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وأحمد (٢/ ١٧٧)، والحاكم (١٨١٧)، وحسنه المنذري في (الترغيب والترهيب) (٢/ ٢٧٧)، والهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٢٢٢)، وله شاهد حسنه به الألباني في (الصحيحة) (٥٩٤).



المبحث الخامس
في بيان الحكمة من الاستغفار

إن للاستغفار حِكَمًا كثيرة؛ منها:

١. رجاء مغفرة الذنب؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

٢. سدُّ خلل التقصير في الأعمال؛ فإن الأعمال في الغالب لا تسلم من النقص.

٣. دفع الإعجاب الذي ربما يقع بعد الأعمال؛ فإن بعض الناس يعجب بعمله، ويرى أنه حصل بقوته، وينسى فضل الله وإحسانه وأنه هو الذي وفقه لذلك العمل.

وهذا قيل: تخليص الأعمال مما يفسدها أشدُّ على العاملين من طول الاجتهاد.

وقد شُرع لنا الاستغفار بعد الأعمال؛ كالوضوء، والصلاة ، والحج؛ لسدِّ خلل التقصير، ولدفع الإعجاب[2].

٤. حصول الذل والانكسار، وإظهار التعبُّد والافتقار للواحد القهار، بالإلحاح في سؤال المغفرة؛ فإن الله تعالى يحب من عباده أن يسألوه ويتضرعوا إليه، وقد قال النبي ﷺ : «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»[3].

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) هذا الإعجاب المذموم لا ينافي حصول السرور في النفس بأن وفق الله تعالى لهذا العمل؛ فإن المؤمن مجبول على محبة فعل الخير، وكراهة الشرِّ؛ وقد قال النبي ﷺ : «**من سرَّته حسنته وساءته سيئته؛ فهو مؤمن**» رواه الترمذي وصححه (٢١٦٥)، والنسائي في (الكبرى) (٩١٨١)، وأحمد (١/ ١٨)، وصححه الحاكم (٣٩٠)، ووافقه الذهبي، والألباني في (صحيح الجامع) (٦٢٩٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وحسنه الألباني في (الصحيحة) (٢٦٥٤).



المبحث السادس
في ذكر آداب الاستغفار

إن للاستغفار آدابًا مشروعة، يحسن بالعبد السائل المغفرة أن يحرص عليها ويداوم على فعلها؛ فإن ذلك أحرى وأقرب في نيل ما سأل؛ فمن آداب الاستغفار:

١. الطهور؛ لقوله ﷺ : «**ما من عبدٍ يذنب ذنبًا، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله ؛ إلَّا غفر الله له**»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

وعن المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إني كرهت أن أذكر الله عز وجل **إلَّا** على طهر» أو قال : «على طهارة»[(٢)].

٢. بدؤه بالثناء على الله تعالى؛ فيثني على ربِّه عز وجل بما هو أهله وينزهه، ثم يسأل المغفرة؛ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦)، وابن ماجه (١٣٩٥)، وجود الحافظ إسناده في (تهذيب التهذيب) عند ترجمة أسماء بن الحكم الفزاري (٤٤٧)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٥٧٣٨) .

(٢) رواه أبو داود (١٧)، وابن ماجه (٣٥٠)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (٨٣٤).

(٣) النصر: ٣.

(٤) رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

وفي حديث زيد مولى النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال : «**من قال: أستغفر الله الذي لا إلٰـه إلَّا هو الحيُّ القيوم وأتوب إليه؛ غفر له وإن كان فرَّ من الزحف**»[(١)].

٣. الصلاة على رسول الله ﷺ ؛ فهو الواسطة الذي علمنا ديننا، فمن الأدب أن يُصلِّي طالب المغفرة عليه؛ فإن الاستغفار نوع من الدعاء؛ وقد جاء في حديث عليٍّ رضي الله عنه مرفوعًا : «كل دعاء محجوب؛ حتى يُصلَّى على النبي ﷺ »[(٢)].

وقال عمر رضي الله عنه : «**إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تُصلِّي على نبيك ﷺ** »[(٣)].

٤. الاعتراف بالذنب؛ فإنه مدعاة إلى المغفرة؛ ولهذا اعترف الأبوان الكريمان آدم وحواء عليهما السلام بخطيئتهما قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[(٤)].

وكذا فعل ذو النون عليه السلام قائلًا: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[(٥)].

وفي حديث سيِّد الاستغفار : «... وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت»[(٦)].

---

(١) رواه أبوداود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧)، وصححه الحاكم (٢٥٥٠)، ووافقه الذهبي، وجود إسناده الحافظ ابن حجر في (الفتح) (كتاب الدعوات- باب أفضل الاستغفار)(١١/ ١١٩)، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (١٦٢٢).

(٢) رواه الطبراني في (الأوسط) (٧٢١) ،وقال الحافظ المنذري : «رواه الطبراني في (الأوسط) موقوفًا، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصح»، وصححه الألباني بطرقه في (صحيح الترغيب) (١٦٧٥)، و(الصحيحة) (٢٠٣٥).

(٣) رواه الترمذي (٤٨٦)، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (١٦٧٦).

(٤) الأعراف: ٢٣.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

(٦) سيأتي تخريجه في (ص:).

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي؛ قال : «**قل: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»(١).

وجاء هذا الأدب أيضًا في حديث الإفك؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها : «**أما بعد يا عائشة، إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة؛ فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه**»(٢)(٣).

٥. الإلحاح والعزم في الاستغفار؛ فإن السائل ربَّه المغفرة ينبغي أن يسأل بجدًّ وعزمٍ وجزمٍ، من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة؛ فإن الإلحاح والعزم فيه إحسان الظن بالله تعالى وأنه لا يتعاظمه شيء أعطاه، ولا يتحقق استعمال المشيئة إلَّا في حق من يتوجه إليه الإكراه ؛ كأنه يقول: لا أريد أن أكرهك إن شئت فأعطني!، وفيه صورة المستغني عن ربِّه تعالى؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مستكره له**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) لا يمكن للمرء أن يستغفر من ذنب ويتوب منه إلا إذا اعترف أنه ذنب؛ وهذا الأدب بعيد عن أهل البدع والأهواء؛ فإنهم زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا، بل رأوه عبادة تقربهم إلى الله تعالى.

وهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - شارحًا لكلام الثوري رحمه الله «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها» – قال : «ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه ... ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة؛ بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق...» (مجموع الفتاوى) (١٠/ ٩).

(٤) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

٦. رفع الأصبع؛ ويدل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا ومرفوعًا: «المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة، والابتهال أن تمُد يديك جميعًا»[(١)].

٧. تعظيم الرجاء وحسن الظن بالله تعالى؛ فينبغي على طالب المغفرة أن يُقوِّي رجاءه في مولاه، ولا يقنط من رحمته، ويُحسن الظن بربِّه؛ فإن ذلك يحمله على حسن العمل وتعظيم الرغبة وكثرة الإلحاح في الاستغفار؛ فينال مطلوبه ومغفرة ذنوبه؛ وقد جاء في الحديث الإلـٰهي قال الله تعالى: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني؛ غفرت لك ولا أبالي...**»[(٢)].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن بي شرًا فله**»[(٣)].

٨. البداءة بالنفس؛ فيبدأ بالاستغفار لنفسه قبل غيره؛ تأسيًا بالأنبياء والصالحين قبله، ولأن الاستغفار قربة وطاعة؛ ولا إيثار في القربات؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[(٤)]، وقال عز وجل: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[(٥)]، وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدًا فدعا له؛ بدأ بنفسه»[(٦)].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٩، ١٤٩١)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٦٦٩٤).

(٢) رواه الترمذي وحسنه (٣٥٤٠)، وكذا حسنه الألباني في (الصحيحة) (١٢٧).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٤٩١)، وابن حبان في (موارد الظمآن) (٢٣٩٤) واللفظ له، وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٦٦٣)،و(صحيح الترغيب) (٣٣٨٦).

(٤) (البقرة: ١٤٨).

(٥) (المطففين: ٢٦).

(٦) رواه الترمذي وصححه (٣٣٨٥)، ورواه الطبراني في (الكبير) (٤٠٨١) من حديث أبي =

وهكذا أمره ربُّه أن يبدأ بنفسه في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[(١)]، ومدح سبحانه التابعين بإحسان بقولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[(٢)].

قال الإمام الصنعاني رحمه الله – معلِّقًا على بعض أدعية زيارة القبور– : « ... وهذا دليل على أن الإنسان إذا دعا لأحد أو استغفر له؛ يبدأ بالدعاء لنفسه والاستغفار لها؛ وعليه وردت الأدعية القرآنية ...»[(٣)].

٩. إخفاؤه سرًّا ؛ لأن الله تعالى أمر بإخفاء الدعاء، والاستغفار دعاء؛ إذ أنه سؤال المغفرة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ولقد كان المسلمون مجتهدين في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت؛ أي ما كانت إلَّا همسًا بينهم وبين ربهم عز وجل ؛ وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾[(٤)]، وأنه ذكر عبدًا صالحًا ورضي بفعله؛ فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾[(٥)]، وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة» ثم ذكر رحمه الله عشر فوائد في إخفاء الدعاء[(٦)].

١٠. تَحرِّي أفضل الأوقات والمواضع للاستغفار؛ وهذا رأيت أن أفرد لهموضعًا خاصًا؛ فانظره في المبحث القادم.

=أيوب، ورواه مسلم في قصة موسى والخضر(٢٣٨٠) بلفظ آخر، انظر (صحيح الجامع) (٤٧٢٣)، و(هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة) (٢١٩٨).

(١) سورة محمد: ١٩.

(٢) الحشر : ١٠.

(٣) (سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام) (٣/ ٣٣٤) .

(٤) الأعراف: .

(٥) مريم: ٢.

(٦) انظر (مجموع الفتاوى) (١٥/ ١٥–٢٢).



المبحث السابع
في ذكر مواضعَ الاستغفار وأوقاته

إن للاستغفار مواضعَ وأوقاتًا هو أرجيفيها قبولًا، وأقرب إلى حصول المطلوب؛ ولذا يتأكد طلبه فيها أكثر من غيرها، وإن كان الاشتغال به في كل وقت مطلوبًا ومستحبًا؛ فمن تلك المواضع والأوقات:

١. الاستغفار وقت السحر؛ قال لله تعالى مادحًا عباده الصالحين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [(١)]، وقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [(٢)]،قال ابن كثير رحمه الله : «دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ينزل ربُّنا تبارك وتعالى**[(٣)] **كل ليلة**

---

(١) الذاريات: ١٧ ، ١٨.

(٢) آل عمران:١٧.

(٣) «نزول ربِّنا إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته؛ وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

ولا يصح تحريف معناه إلى نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته؛ فإن هذا باطل لوجوه:

الأول: أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله، والأصل أن الشيء إنما يضاف إلى من وقع منه أو قام به، فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفًا يخالف الأصل.

الثاني: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

الثالث: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت، فإن قيل: المراد نزول أمر خاص، ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت؟ فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل فإن الحديث يدل على أن =

إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[(١)].

وقد ختم الله تعالى(سورة المزمل) – وفيها قيام الليل– بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[(٢)].

وهكذا كان كثير من السلف يُصلُّون من الليل، ويتحرون وقت السحر للاستغفار.

٢. الاستغفار بعد قضاء الأعمال:

وقد ثبت ذلك في عدة مواضع؛ منها:

١. الاستغفار بعد الوضوء؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**... من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ كُتب في رقٍّ، ثم جعل في طابع، فلم يُكسر إلى يوم القيامة**»[(٣)].

وفي رواية زيادة في آخره: «وطُبع عليها بطابع فوضعت تحت العرش، فلم تُكسر إلى يوم القيامة»[(٤)].

= منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأيُّ فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي ﷺ عنها؟.

الرابع: أن الحديث دل على أن الذي ينزل يقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوى الله تعالى» قاله العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى؛ انظر كتابه (فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية) (ص: ٤٥).

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) المزمل: ٢٠.

(٣) رواه الطبراني في (الأوسط) (١٤٥٥)، واللفظ له، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (٢٢٥).

(٤) رواه النسائي في (السنن الكبرى) (٩٨٢٩، ٩٨٣١) وصوب وقفه على أبي سعيد، قال=

٢. الاستغفار بعد الصلاة؛ لحديث ثوبان ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، سئل الأوزاعي – أحد رواته – عن كيفية الاستغفار؛ فقال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله...[(١)].

٣. الاستغفار في الحج في أثناء الوقوف بعرفة وقبله وبعده؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(٢)].

قال ابن كثير ﵀: «وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كثيرًا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات؛ ولهذا ثبت في (صحيح مسلم) أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر ثلاثًا...».

٤. الاستغفار في ختام المجالس؛ لحديث جبير بن مطعم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكر؛ كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لهو؛ كانت كفارة له**»[(٣)].

وعن أبي برزة الأسلمي ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرةٍ إذا أراد أن يقوم من المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك**» فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: «**كفارة لما يكون في المجلس**»[(٤)].

= المحدِّث الألباني: «لكنه في حكم المرفوق؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأي كما لا يخفى». انظر (صحيح الترغيب) (١/ ٢٠٩).

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) البقرة: ١٩٩.

(٣) رواه النسائي في (السنن الكبرى) (١٠١٨٥)، والطبراني في (الكبير) (١٥٨٦)، والحاكم (١٩٧٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي والألباني في (الصحيحة) (٨١).

(٤) رواه أبوداود (٤٨٥٩)، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (١٥١٧).

٥. استغفار الضيف لصاحب الطعام عند إرادة الخروج؛ لحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نزل ضيفًا على أبيه، فقربوا له طعامًا وشرابًا؛ فلما أراد الخروج دعا لهم فقال: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم**»[١].

٦. الاستغفار عند أخذ المضجَع؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلًا إذا أخذ مضجَعه أن يقول: «**اللهم خلقت نفسي وأنت توفَّاها، لك مماتها ولك محياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمِتَّها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**» فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر؛ من رسول الله ﷺ[٢].

٧. الاستغفار في آخر العمر؛ لأن الله سبحانه أمر رسوله في آخر عمره بالاستغفار؛ وذلك في آخر سورة نزلت جميعًا؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» قالت: قلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «**جعلت لي علامة في أُمَّتي إذا رأيتها قلتها:** ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[٣].

وفي لفظ لها: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[٤].

٨. الاستغفار عند الاحتضار؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت- وهو مُسنَدٌ إلى صدرها وأصغت إليه- وهو يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧١٢).

(٣) رواه مسلم (٤٨٤).

(٤) رواه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٥) رواه البخاري (٤٤٤٠، ٥٦٧٤)، ومسلم (٢٤٤٤).

٩. الاستغفار في أثناء الصلاة:

فقد ثبت ذلك في عدة مواضع؛ منها:

١. الاستغفار عند افتتاح الصلاة؛ لحديث عليٍّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إلـٰه إلَّا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا؛ إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، وأهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلَّا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيَّام السموات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدمت وأخرت، وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إلـٰه إلَّا أنت**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا قام – أي: النبي ﷺ يفتتح قيام الليل– كبَّر عشرًا، وحمد عشرًا، وسبح عشرًا، وهلل عشرًا، واستغفر عشرًا، وقال: «**اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٧٧١).

(٢) رواه مسلم (٧٦٩).

(٣) رواه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (١٦١٨)، وابن ماجه (١٣٥٦)، وصححه ابن القيِّم في=

٢. الاستغفار في الركوع والسجود؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده : «**اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه دقَّه وجلَّه وأوله وآخره وعلانيته وسرَّه**»(٢).

٣. الاستغفار في الجلسة بين السجدتين؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يُصلِّي من الليل... وفيه : «وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده، وكان يقول: **ربِّ اغفر لي ربِّ اغفر لي**»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقول بين السجدتين : «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني**»(٤).

٤. الاستغفار قبل السلام من الصلاة؛ لحديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال : «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت؛ فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم**»(٥).

وعن عليٍّ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة... وفيه: ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني؛ أنت المقدم وأنت المؤخر**

= (زاد المعاد) (١/ ١٩٧)، والألباني في (صفة الصلاة) (ص:٩٥).

(١) رواه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) رواه مسلم (٤٨٣).

(٣) رواه أبو داود (٨٧٤)، وابن ماجه (٨٩٧)، وحسنه الألباني في (صفة الصلاة) (ص:١٥٣).

(٤) رواه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٨٩٨)، وصححه الألبانيفي (صفة الصلاة) (ص:١٥٣).

(٥) سبق تخريجه في (ص: ٢٨).

لا إلـٰه إلَّا أنت»[١].

٥. الاستغفار في المجالس؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال: كان يُعَدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت التواب الغفور**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلًا يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا قعدوا معهم** (وفي رواية البخاري ـ: **تنادوا هلموا إلى حاجتكم) وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله** عز وجل ـ وهو أعلم بهم ـ : **من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض** (في رواية البخاري: **ما يقول عبادي؟ قالوا يقولون:) يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك** (في رواية البخاري: **قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا) قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي ربِّ، قال: وكيف لو رأوا جنتي؟** (في رواية البخاري: **قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة) قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا ربِّ، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟** (في رواية البخاري: **لو رأوها كانوا أشدَّ منها فرارًا، وأشدَّ لها مخافة)قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول:** (في رواية البخاري: فأشهدكم أني) **قد غفرت لهم**

---

(١) رواه مسلم (٧٧١).

(٢) رواه الترمذي وصححه (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (٥٥٦).

فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، فيقولون: ربِّ (في رواية البخاري: يقول ملك من الملائكة) **فيهم فلان عبد خطَّاءٌ إنما مرَّ فجلس معهم** (في رواية البخاري: **فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة**) **قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[١].

٦. الاستغفار عند الميت إذا قضي ؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره؛ فأغمضه، ثم قال : «**إن الرُّوح إذا قُبض تبعه البصر**» فضج ناس من أهله، فقال : «**لا تدعوا على أنفسكم إلَّا بخير؛ فإن الملائكة يُؤمِّنون على ما تقولون**» ثم قال : «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه**»[٢].

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لأم سلمة - بعد موت أبي سلمة - : «**قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة...**»[٣].

٧. الاستغفار في صلاة الجنازة؛ فإنه يُشرع الاستغفار للميت، ولسائر الأحياء والميتين من المسلمين؛ ثبت ذلك في أحاديث عدة؛ منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فقال : «**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٩٢٠).

(٣) رواه مسلم (٩١٩).

(٤) رواه أبوداود (٣٢٠١)،والترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٨)، وصححه الحاكم (١٣٢٦)، ووافقه الذهبي والألباني في (أحكام الجنائز) (ص:١٥٨).

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فأسمعه يقول : «**اللهم، إن فلان بن فلان في ذمتك**[(١)] **وحبل جوارك، فَقِهِ من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، فاغفر له وارحمه؛ إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٢)].

٨. الاستغفار عند قبر الميت بعد دفنه؛ لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل**»[(٣)].

٩. الاستغفار عند زيارة القبور؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**» [(٤)] [(٥)].

١٠. الاستغفار في خطبة الحاجة؛ التي كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبه، ويعلمها أصحابه، وكان السلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم وكتبهم ومختلف شئونهم، وقد وردت هذه الخطبة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ؛ وكان النبي ﷺ يفتتحها بقوله : «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور**

---

(١) أي: في أمانتك وعهدك.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩)، وصححه الألباني في(أحكام الجنائز) (ص:١٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الحاكم (١٣٧٢)، ووافقه الذهبي، وجود النووي إسناده في (المجموع)(٥/ ١٨٢)، وصححه الألباني في (أحكام الجنائز) (ص:١٩٨).

٤» البقيع- بالباء المعجمة - : هو مدفن أهل المدينة ، سُمِّي بقيع الغرقد لغرقد كان فيه؛ وهو ما عظُم من العوسج (شجر عظيم كثير الشوك)، وفيه إطلاق لفظ الأهل على ساكن المكان من حيٍّ وميت - انظر (شرح صحيح مسلم) للنووي(٤/ ٤٥).

(٢) رواه مسلم (٩٧٤) .

أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...»[(١)] .

١١. الاستغفار عند ركوب الدابة؛ لحديث عليٍّ ﷺ أنه أُتِيَ بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «**بسم الله**» ، فلما استوى على ظهرها قال: «**الحمد لله** »، ثم قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون**»، ثم قال: «**الحمد لله**» ؛ ثلاث مرات، ثم قال: «**الله أكبر**» ؛ ثلاث مرات، ثم قال: «**سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**»، ثم ضحك! فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك! فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟ قال : «**إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي؛ إنه لا يغفر الذنوب غيرك**»[(٢)] .

١٢. الاستغفار بعد الوقوع في الذنب؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(٣)] .

وعن أبي بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من عبدٍ يذنب ذنبًا، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيُصلِّي ركعتين، ثم يستغفر الله ؛ إلَّا غفر الله له**» ، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(٤)] .

---

(١) رواه النسائي (١٤٠٤)، وأبو داود الطيالسي (٣٣٦)، والحاكم (٢٧٤٤)، وصححه الألباني، انظر كتابه (خطبة الحاجة).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود) (٢٢٦٧).

(٣) النساء: ١١٠.

(٤) سبق تخريجه في (ص: ٢٦).

١٣. الاستغفار عند الخوف من الشرك؛ لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «**يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل**»، فقال له من شاء أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: اللهم، إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»[1].

وفي رواية: عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أبا بكر، لَلشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» فقال أبو بكر: وهل الشرك إلَّا من جعل مع الله إلهًا آخر؟ فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟**» قال: «**قل: اللهم، إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»[2].

١٤. الاستغفار في الاستسقاء؛ فقد أخبر الله تعالى أن الاستغفار سببٌ لنزول الغيث؛ كما في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[4].

وفي الأثر: «خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء[5] التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣)، وحسنه الألباني بطرقه في (صحيح الترغيب) (٣٦).

(٢) رواه البخاري في (الأدب المفرد) (٧١٦)، وصححه الألباني في تخريجه لـ(الأدب المفرد).

(٣) هود: ٥٢.

(٤) (ه: ١٠-١١).

(٥) وفي لفظ: «بمفاتيح السماء».

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾[(١)]، وقرأ الآية التي في (سورة هود) حتى بلغ: ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾[(٢)].

وفي الأثر: «أنه خرج عبد الله بن زيد الأنصاري، وخرج معه البراء بن عازب، وزيد بن أرقم رضي الله عنهم، فاستسقى، فقام بهم على رجله على غير منبر فاستغفر، ثم صلى ركعتين يجهر بالقراءة ولم يُؤذِّن ولم يُقِم، قال أبو إسحق: ورأى عبدُ الله بنُ زيد النبيَّ صلى الله عليه وسلم»[(٣)].

وقال العباس رضي الله عنه – لما أمره عمر رضي الله عنه بالاستسقاء في عام الرمادة– : «اللهم، إنه لم ينزل بلاء إلَّا بذنب، ولم يكشف إلَّا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك؛ لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة؛ فاسقنا الغيث؛ فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس»[(٤)].

١٥. الاستغفار عند الخسوف والكسوف؛ لحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشمس؛ فقام النبي صلى الله عليه وسلم فَزِعًا؛ يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد وصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله، وقال: «هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك؛ فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره»[(٥)].

---

(١) نوح: ١١، ١٢.

(٢) رواه ابن جرير (٢٩/ ١١١-١١٢)، والبيهقي في (السنن) (٣/ ٣٥١-٣٥٢) من طريق الشعبي عنه، وإسناده منقطع؛ لأن الشعبي لم يسمع منه؛ فهو مرسل، لكن قال العجلي: «لا يكاد الشعبي يرسل إلّا صحيحًا» انظر (تهذيب التهذيب) لابن حجر (٣١٩٧).

(٣) رواه البخاري (١٠٢٢).

(٤) نقله الحافظ ابن حجر في (الفتح) (كتاب الاستسقاء- باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا)(٢/ ٦٠٥)، وعزاه للزبير بن بكار في كتابه (الأنساب)، وأصله في (صحيح البخاري) (١٠١٠)، ولمزيد الفائدة انظر (التوسل أنواعه وأحكامه) للألباني (ص: ٥١- ٦٨).

(٥) رواه البخاري (١٠٥٩)، ومسلم (٩١٢).

١٦. الاستغفار عند الاستيقاظ من الليل مع صوت؛ لحديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من تعارَّ**[١] **من الليل فقال: لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إلـٰه إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ وصلى قُبلت صلاته**»[٢].

١٧. الاستغفار بعد الخروج من الخلاء؛ لحديث عائشة ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال: «**غفرانك**»[٣].

قوله: «غفرانك» إما مفعول به منصوب بفعل مقدر؛ أي: أسألك غفرانك، أو أطلب، أو مفعول مطلق؛ أي: اغفر غفرانك، وأحسن ما قيل في الحكمة من الاستغفار في هذا الموطن: أن القوة البشرية قاصرة عن الوفاء بشكر ما أنعم الله عليه من تسويغ الطعام والشراب، وترتيب الغذاء على الوجه المناسب لمصلحة البدن إلى أوان الخروج، فلجأ إلى الاستغفار؛ اعترافًا بالقصور عن بلوغ حق تلك النعم[٤].

١٨. الاستغفار عندما يقول لك مسلم: غفر الله لك؛ لحديث عبد الله بن سرجس ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ وأكلت من طعامه، قلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال ﷺ: «**ولك**» قال عاصم الأحول – الراوي عنه –: قلت لعبد الله: استغفر لك؟ قال: نعم، ولكم، ثم تلا هذه الآية ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) أي: استيقظ مع صوت فنطق بهذه الكلمات؛ قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٣/ ٤٩): «وإنما يتفق ذلك لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في نومه ويقظته...».

(٢) رواه البخاري (١١٥٤).

(٣) رواه أبو داود (٣٠)، والترمذي وصححه (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وصححه النووي في (المجموع) (٢/ ٦٤)، والألباني في (صحيح سنن أبي داود) (٢٢).

(٤) انظر (تحفة الأحوذي) لأبي العلا المبارك فوري (١/ ٥٤-٥٥).

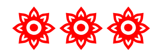
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[١].

١٩. الاستغفار عند توديع المسافر؛ لحديث أنس ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا فزودني، قال : «**زودك الله التقوى**» قال: زدني، قال : «**وغفر ذنبك**» قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال : «**ويسَّر لك الخير حيثما كنت**»[٢].

٢٠. الاستغفار عند لقاء العدو؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٣].

قال العلَّامة عبد الرحمن السّعدي ﵀ : «والإسراف هو: مجاوزة الحد إلى ما حرم؛ علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر؛ فسألوا ربَّهم مغفرتها...»[٤].

٢١. الاستغفار في سائر الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء؛ فهو نوع من الدعاء؛ إذ أنه سؤال المغفرة من الله سبحانه وتعالى.



(١) رواه أحمد (٥/ ٨٢)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠١٨٣)، وأصله في (صحيح مسلم) (٢٣٤٦).

(٢) رواه الترمذي وحسنه (٣٤٤٤)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع)(٣٥٧٩).

(٣) (آل عمران: ١٤٧).

(٤) (تفسير السّعدي) (ص: ١٣٧).



المبحث الثامن
في ذكر ثمرات الاستغفار

إن للاستغفار ثمراتٍ عظيمةً، وبركاتٍ غزيرةً، وفوائدَ كبيرةً؛ فكم كُشفت به كربة، وكم رُفعت به رتبة، وكم حلَّت به بركة، وكم سُتر به عيب، وكم بُسط به رزق؛ فهي أكثر من أن تُحصى، وأشهر من أن تنسى؛ فمن ثمراته:

١. غفران الذنوب؛ فهو يحط الخطايا ويذهبها؛ فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

٢. رفع العذاب ومنع نزوله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2]؛ فهو الأمان الثاني.

٣. جلاء القلب وتطهيره؛ فإن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس؛ وصدؤه يحصل بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة؛ نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب؛ صقل قلبه، وإن عاد زِيْد فيها؛ حتى تعلو قلبه؛ وهو الران الذي ذكر الله** ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»[3].

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) رواه الترمذي وصححه (٣٣٣٤)، والنسائي في (الكبرى) (١٠١٧٩)، وابن ماجه =

قال ابن القيِّم رحمه الله : «وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يومًا: سُئل بعض أهل العلم: أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا؛ فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنسًا؛ فالصابون والماء الحار أنفع له، فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسه؟»[(١)].

٤. سعة الرزق، ونزول الأمطار، وحصول الذرية؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[(٢)].

وقد تقدم في المبحث السابع أنه مشروع عند الاستسقاء.

قال الإمام القرطبي رحمه الله : «في هذه الآية والتي في (هود) دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار...»[(٣)].

وقال عبد الرحمن السّعدي رحمه الله : «فأخبر أن الاستغفار سبب يُستجلب به مغفرة الله ورزقه وخيره ...»[(٤)].

وروي عن الإمام الحسن البصري رحمه الله أن رجلًا شكى له الجدوبة، فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله. فسُئل عن ذلك؛ فقال: ما قلت من عندي شيئًا، إن الله يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم

=(٤٢٤٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٧)، وصححه الحاكم (٣٩٠٨)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه) (٣٤٢٢).

(١) (الوابل الصيب) لابن القيِّم (ص:١٠٠).

(٢) نوح: ١٠ ـ ١٢.

(٣) (تفسير القرطبي) (١٨/ ٣٠٢).

(٤) (القواعد الحسان) للسّعدي (ص: ٦٠).

بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾(١) (٢).

٥. يُقوِّي القلب والبدن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾(٣).

فالمداوم على الاستغفار يجد في نفسه قوة على فعل كثير من الطاعات لم يطق فعلها بدونه؛ وقد شعر بذلك الكثيرون.

٦. يشغل اللسان عن النطق بما حرَّم الله تعالى؛ كالغيبة والنميمة والكذب والفحش؛ وكفى بها ثمرة وفائدة.

وهكذا العكس؛ فإن من يبس لسانه عن ذكر الله تعالى واستغفاره؛ ترطَّب بكل باطل ولغو وفحش، فحركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها وأكثرها.

وقد دل القرآن الكريم في عدة آيات على أن من ترك ما ينفعه مع الإمكان؛ ابتُلي بالاشتغال بما يضرُّه، وحُرِم الأمر الأول؛ فالمشركون لما زهدوا في عبادة الرحمن؛ ابتُلوا بعبادة الأوثان، ولما استكبروا عن الانقياد لرسول الله ﷺ بزعمهم أنه بشر؛ ابتُلوا بالانقياد لأبي جهل وأشباهه، قال ابن القَيِّم رحمه الله في (نونيته):

هربوا من الرِّق الذي خُلقوا له   فَبُلُوا برقِّ النفس والشيطان

وهكذا أخبر الله تعالى بأن اليهود لما تركوا العمل بكتاب الله الذي أنزله لهدايتهم وإصلاح شئونهم؛ ابتُلوا بتعلُّم السحر وتعاطيه؛ قال سبحانه: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾(٤) (١).

---

(١) نوح: ١٠ ـ ١٢.

(٢) أورده القرطبي في (تفسيره) (١٨/ ٣٠٣) بغير إسناد، ولم يعزه لأحد.

(٣) هود: ٥٢.

(٤) البقرة: ١٠١–١٠٢.

٧. يُسيِّر العبد وهو على فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه، وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيء يَعُمُّ الأوقات والأحوال مثله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له جمدان، فقال: «**سيروا هذا جمدان، سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(٢).

٨. أنه أمان من النفاق؛ فإن المنافق قليل الذكر لله عز وجل؛ قال تعالى في المنافقين: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَّ إِلاَّ قَلِيلًا﴾(٣)، والاستغفار داخل في ذكر الله تعالى، وهكذا المنافقون معرضون عن الاستغفار؛ كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(٤).

٩. يُفرِّح العبد بصحيفة عمله في الآخرة؛ كما قال النبي ﷺ: «**من أحب أن تسرَّه صحيفته؛ فليكثر فيها الاستغفار**»(٥).

١٠. يغيظ الشيطان؛ ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان قال: وعزَّتك يا ربِّ، لا أبرح أُغْوِي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرَّبُّ تبارك وتعالى: وعزَّتي وجلالي لا أزال أغفرُ لهم ما استغفروني**»(٦).

---

(١) انظر (القواعد الحسان) (ص: ١١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٣) النساء: ١٤٢.

(٤) المنافقون: ٥.

(٥) سبق تخريجه في (ص: ١٦).

(٦) رواه أحمد (٣/ ٢٩)، والحاكم وصححه (٧٦٧٢) ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في (الصحيحة) (١٠٤).

١١. يحصل به المتاع الحسن في الدنيا والجزاء بالحسنى في الآخرة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة، والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾ أي: في الدنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، أي: في الدار الآخرة؛ قاله قتادة – كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾» ا. هـ.

١٢. ينال به العبد رحمة الله تعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

١٣. يورث ذكر الله للعبد وثناءه عليه؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم...**»[5].

والاستغفار داخل في ذكر الله تعالى، لا سيَّما إذا كان مقرونًا بذكر أسمائه والثناء عليه وتسبيحه وتمجيده.

---

(١) هود: ٣.

(٢) هود: ٩٠.

(٣) النمل: ٤٦.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

١٤. البشارة بالجنة؛ كما في حديث عبد الله بن بسر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»(١).

١٥. يكمُلُ به مقامُ الذل والانكسار للواحد القهار؛ وهذا أصل العبادة ولبُّها، ويعُوِّد العبد على المسامحة وقبول الاعتذار.

١٦. يدفع الهمَّ والغمَّ والضيق؛ قال ابن القيِّم ﷺ: «وأما تأثير الاستغفار في دفع الهمِّ والغمِّ والضيق؛ فلِمَا اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كل أُمَّة أن المعاصي والفساد توجب الهمَّ والغمَّ والخوف والحُزن وضيق الصدر وأمراض القلب، حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسُهم ارتكبوها؛ دفعًا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهمِّ والغمِّ؛ كما قال شيخ الفسوق:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وإذا كان تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواء لها إلَّا التوبة والاستغفار»(٢).

١٧. تبديل السيئات حسنات؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣).

فقد ورد في معناه قولان:

الأول: أنهم بُدِّلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات؛ فبعد أن كانوا أهل معاصٍ، صاروا من أهل الطاعات؛ وعلى هذا فالتبديل يكون في الدنيا.

الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات؛ وما ذاك إلَّا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر؛ فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه لكنه لا يَضرُّه وينقلب حسنة في

(١) سبق تخريجه في (ص: ١٩).
(٢) (الطب النبوي) لابن القيِّم (ص: ١٢٧).
(٣) الفرقان: ٧٠.

صحيفته؛ كما ثبتت السُّنَّة بذلك، وصحت به الآثار المروية عن السلف رحمهم الله تعالى – قاله ابن كثير رحمه الله .

فهذان القولان لا يتعارضان، ويُؤيِّد الثاني أحاديث عدة؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا منها؛ رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا؛ فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئةٍ حسنةً، فيقول: ربِّ، قد عملتُ أشياء لا أراها ها هنا**» فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ليتمنين أقوامٌ لو أكثروا من السيئات**» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال : «**الذين بدَّل الله سيئاتهم حسنات**»[2].

١٨. كتابة الكثير من الحسنات في صحيفة العمل؛ ويدل عليه قوله ﷺ : «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»[3].

١٩. رفعة الدرجات في الجنة؛ ويدل عليه قوله ﷺ : «**إن الرجل لُترفع درجته في الجنة؛ فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»[4].

٢٠. يشرح الصدور، ويذيق صاحبه حلاوة الإيمان؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وإذا رأى أنه لا ينشرح صدره، ولا يحصل له حلاوة الإيمان ونور الهداية؛

---

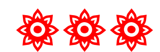
(١) رواه مسلم (١٩٠).

(٢) رواه الحاكم (٧٦٤٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وحسّنه الألباني، ونقل تحسين المناوي له، انظر (الصحيحة) (٢١٧٧).

(٣) سيأتي تخريجه في (ص: ٨٤) .

(٤) سيأتي تخريجه في (ص: ٨٣) .

فليكثر من التوبة والاستغفار، وليلازم الاجتهاد بحسب الإمكان؛ فإن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [١]، وعليه بإقامة الفرائض ظاهرًا وباطنًا، ولزوم الصراط المستقيم مستعينًا بالله، متبرئًا من الحول والقوة إلَّا به» [٢].



(١) (العنكبوت : ٦٩).

(٢) (مجموع الفتاوى) (١١/ ٣٩٠).



المبحث التاسع
في أن الاستغفار يمحو الذنوب وإن تكررت

هذا المبحث جزء من الذي قبله، وقد أفردته بالذكر؛ لأن بعض الناس إذا استغفر وتاب من ذنب، ثم وقع فيه؛ فإنه ربما يقنط من رحمة الله ومغفرته، ويرى أنه ليس أهلًا لذلك؛ فيحمله ذلك على ترك الاستغفار مع مواقعة الذنب.

فإن العبد ما دام يستغفر غيرَ مصرٍّ على الذنب؛ فإن الله يغفر له في كل مرة، وذلك مهما يتكرَّر منه الذنب؛ ويدل على ذلك أحاديث عدة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قال : «**إن عبدًا أصاب ذنبًا**– وربما قال: أذنب ذنبًا– **فقال: ربِّ أذنبتُ**– وربما قال: أصبتُ – **فاغفر لي، فقال ربُّه: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي .**

ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا – أو أذنب ذنبًا – ؛ **فقال: ربِّ أذنبتُ**– أو اصبتُ – **آخر فأغفره، فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي.**

ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا – وربما قال: أصاب ذنبًا –؛ **قال: قال: ربِّ أصبتُ**– أو أذنبتُ– **آخر فاغفره لي، فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي** – ثلاثًا – **فليعمل ما شاء** (وفي رواية مسلم: **اعمل ما شئت فقد غفرتُ لك**) »[(١)].

قال النووي رحمه الله : «قوله ﷻ للذي تكرر ذنبه : «اعمل ما شئت فقد غفرتُ

---

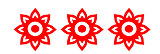
(١) رواه البخاري (٧٥٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥٨).

لك» معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب، غفرتُ لك»[(١)].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أحدنا يذنب، قال: «**يُكتب عليه**» قال: ثم يستغفر منه ويتوب، قال: «**يُغفر له ويُتاب عليه**» قال: فيعود فيذنب قال: «**يكتب عليه ولا يملُّ الله حتى تملُّوا**»[(٢)].

وفي حديث أنس رضي الله عنه يقول الله عز وجل: «... **يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني؛ غفرتُ لك ولا أبالي** ...»[(٣)].

وفي رواية عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده** – أو قال: والذي نفس محمد بيده – **لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله** عز وجل**؛ لغفر لكم** ...»[(٤)].



(١) (شرح صحيح مسلم) (١٧/ ٧٨).

(٢) رواه الحاكم وصححه (٧٦٥٨) ووافقه الذهبي.

(٣) سبق تخريجه في (ص: ٢٩).

(٤) رواه أحمد (٣/ ٢٣٨)، وحسنه الألباني بطريقيه في (الصحيحة) (١٩٥١).



المبحث العاشر
في ذكر أفضل أدعية الاستغفار

أفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبدُ بالثناء على ربِّه، ثم يُثَنِّي بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة؛ كما في حديث شداد بن أوس ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**سيِّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربِّي، لا إلٰه إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت؛ من قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي؛ فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح؛ فهو من أهل الجنة**»[(١)].

قال عبد الله بن أبي جمرة المالكي ﵀: «جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يُسمَّى سيِّد الاستغفار؛ ففيه الإقرار لله وحده بالإلـٰهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذ عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شرِّ ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلَّا هو...»[(٢)].

ومن أفضل أدعية الاستغفار ما جاء في حديث زيد مولى النبي ﷺ: «**من قال:**

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) نقله عنه الحافظ ابن حجر في (الفتح) (كتاب الدعوات - باب أفضل الاستغفار)(١١/ ١١٨)، ولعله في شرحه لصحيح البخاري (بهجة النفوس).

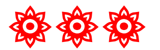
أستغفر الله الذي لا إلٰـه إلَّا هو الحيُّ القيوم وأتوب إليه؛ غفر له وإن كان فرَّ من الزَّحف»[(١)].

ومنها ما جاء في حديث عليٍّ رضي الله عنه من استغفار رسول الله ﷺ عند ركوب الدابة: «**سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**»[(٢)].

ومنها ما جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه: «**اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٣)].

ومنها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنا كنا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الغفور**»[(٤)].

ومنها حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم، إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرُّشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علَّام الغيوب**»[(٥)].



---

(١) سبق تخريجه في (ص: ٢٧).

(٢) سبق تخريجه في (ص: ٤٠).

(٣) سبق تخريجه في (ص: ٢٨).

(٤) رواه أبوداود (١٥١٦)، والترمذي وصححه (٣٤٣٤)، والنسائي في (الكبرى) (١٠٢١٩)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وأحمد (٢/ ٢١)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (٥٥٦).

(٥) رواه الطبراني في (الكبير) (٧١٣٥)، وأبو نعيم في (الحلية) (١/ ٢٦٦)، وجود إسناده الألباني في (الصحيحة) (٣٢٢٨).



المبحث الحادي عشر
في ذكر الفرق بين الاستغفار والتوبة

أما الاستغفار فقد سبق ذكر معناه، وأما التوبة : «فهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا»[(١)].

وقد يُذكر الاستغفار كثيرًا مفردًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)]؛ وهذا هو الاستغفار المقرون بعدم الإصرار؛ وهو كالتوبة.

وقد يُذكر كثيرًا مقرونًا بالتوبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ..﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[(٤)].

قال ابن القيِّم رحمه الله : «فالاستغفار المفرد كالتوبة؛ بل هو التوبة بعينها، مع تضمُّنه طلب المغفرة من الله؛ وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شرِّه ... وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[(٥)]؛ فإن الله لا يعذب مستغفرًا، وأما من أصرَّ على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكلٌ منها يدخل في مُسمَّى الآخر عند الإطلاق.

---

(١) انظر (تفسير السّعدي) (ص: ٦١٦).

(٢) المزمل: ٢٠.

(٣) هود: ٣.

(٤) هود: ٩٠.

(٥) الأنفال: ٣٣.

وأمّا عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى؛ فالاستغفار: طلب وقاية شرِّ ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شرِّ ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

فهاهنا ذنبان: ذنب قد مضى؛ فالاستغفار منه: طلب وقاية شرِّه، وذنب يخاف وقوعه؛ فالتوبة: العزم على أن لا يفعله.

والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شرَّ ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شرَّ ما يستقبل من شرِّ نفسه وسيئات أعماله ...

فهاهنا أمران لابدَّ منهما : مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره؛ فخُصَّت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند انفراد أحدهما يتناول الأمرين؛ ولهذا جاء – والله أعلم – الأمر بهما مرتَّبًا بقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾[1]؛ فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضًا: فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة: أن يقيه شرَّ الذنب، والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكلٌّ منهما يستلزم الآخر عند إفراده – والله أعلم[2][3].

---

(١) (هود: ٩٠).

(٢) (مدارج السالكين) (١/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٣) مما يتعلق بالتوبة مسألتان:

المسألة الأولى: شروط التوبة:

فالتوبة لها شروط خمسة: ١- الإخلاص لله تعالى. ٢- الندم على ما فات. ٣- الإقلاع عن الذنب. ٤- العزم على عدم العودة إلى الذنب. ٥- أن تكون في زمن تقبل فيه التوبة؛ وهذا نوعان :

النوع الأول: باعتبار كل إنسان بحسبه؛ وذلك قبل حلول الأجل ووصول الروح إلى الحلقوم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ [النساء: ١٨]، وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذي وحسنه(٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (١٩٠٣).



المبحث الثاني عشر
في أن الاستغفار مع التوحيد

قد جمع الله تعالى بين التوحيد والاستغفار في غير موضع؛ كقوله سبحانه: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوا

النوع الثاني: باعتبار العموم؛ وذلك قبل طلوع الشمس من مغربها؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» رواه مسلم (٢٧٠٣).

وإن كان الذنب متعلقًا بحق آدمي؛ فهنا لابدَّ من ردِّه واستحلاله منه إذا كان مالًا أو دمًا ونحو ذلك، وإن كان غيبة؛ ففيه تفصيل يأتي في المبحث الثامن عشر. انظر (شرح رياض الصالحين) لابن عثيمين (١/ ٨٩-٩٤).المسألة الثانية: معنى التوبة النصوح التي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

«اختلفت عبارات السلف في معنى التوبة النصوح حتى بلغت بضعةً وعشرين قولًا؛ ومآلها إلى شيء واحد يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها؛ بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته ولا خطيئة إلا أتت عليها.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكلِّيته عليها؛ بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوُّم ولا انتظار؛ بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب الغريبة والعلل القادحة في إخلاصها.

فالأول يتعلق بما يتوب منه، والأوسط يتعلق بذات التائب ونفسه، والأخير يتعلق بمن يتوب إليه.

فنصح التوبة: الصدق فيها، والإخلاص، وتعميم الذنوب بها». انظر (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين) (١/ ٥١).

(١) (محمد: ١٩).

إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾[(٢)].

وكذا جمع النبي ﷺ بين التوحيد والاستغفار في كفارة المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»[(٣)].

وفي قوله: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إلٰه إلَّا هو الحيُّ القيوم وأتوب إليه؛ غفر له وإن كان فرَّ من الزحف**»[(٤)].

وفي حديث سيِّد الاستغفار كما سبق.

وأخبر الله تعالى أنه إنما يغفر مع التوحيد؛ كما في الحديث الإلٰهي: «... **يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٥)].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ...﴾[(٦)].

ونهى عن الاستغفار لأهل الشرك؛ لأن الشرك والمغفرة لا يجتمعان؛ فقال: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ...﴾[(٧)].

وقال أيضًا: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[(٨)].

---

(١) هود: ١-٣.

(٢) فصلت: ٦.

(٣) سبق تخريجه في (ص: ٣٣).

(٤) سبق تخريجه في (ص: ٢٧).

(٥) سبق تخريجه في (ص:).

(٦) النساء: ٤٨).

(٧) التوبة: ١١٣.

(٨) التوبة: ٨٠.

فهذه النصوص وأشباهها تدل على أن التوحيد هو السبب الأعظم للمغفرة؛ فبه يزول الشرك، وبالاستغفار يزول بقية الذنب.

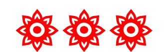
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فشهادة أن لا إلـٰه إلَّا الله بصدق ويقين تُذهب الشرك كلَّه دِقَّه وجلَّه، خطأه وعمده، أوَّله وآخره سرَّه وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك؛ فإن الذنوب كلَّها من شعب الشرك.

فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه.

فأبلغ الثناء: قول لا إلـٰه إلَّا الله، وأبلغ الدعاء: قول أستغفر الله.

فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه، ولإخوانه المؤمنين» [(١)].



---

(١) (الاستغفار) (ص: ٤٣).



جمع الله تعالى بين الاستغفار والصبر في غير موضع؛ وذلك لأن الصبر يحصل به فعل المأمور وترك المحظور وعدم التسخط على المقدور؛ وإذا حصل شيء من التقصير في ذلك؛ فهذا يجبره الاستغفار؛ قال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فجمعوا بين الصبر والاستغفار، وهذا هو المأمور به في المصائب؛ الصبر عليها، والاستغفار من الذنوب التي كانت سببها.

والقتال كثيرًا ما يقاتل الإنسان فيه لغير الله؛ كالذي يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء؛ فهذا كلُّه ذنوب، والذي يقاتل لله قد يسرف فيقتل من لا يستحق القتل، ويعاقب الكفار بأشد مما أمره به...» [(٢)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله : «وأمر بالاستغفار والصبر؛ لأن العبد لابدَّ أن يحصل له نوع تقصير وسرف يزيله الاستغفار، ولابدَّ في انتظار الوعد من الصبر؛ فبالاستغفار تتم الطاعة، وبالصبر يتم اليقين بالوعد، وقد جمع الله سبحانه بينهما في قوله : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [(٣)] [(١)].

---

(١) آل عمران: ١٤٦-١٤٧.

(٢) (الاستغفار) (ص: ٤٠).

(٣) غافر: ٥٥.



إذا تدبَّر العبدُ؛ علمَ أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله تعالى؛ فشكر الله؛ فزاده الله من فضله عملًا صالحًا، ونعمًا يفيضها عليه، وإذا علم أن الشرَّ لا يحصل له إلَّا من نفسه بذنوبه؛ استغفر وتاب؛ فزال عنه سبب الشرِّ؛ فيكون العبد دائمًا شاكرًا مستغفرًا؛ فلا يزال الخيرُ يتضاعف له، والشرُّ يندفع عنه[٢].

قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣].

فالحسنات تدخل فيها كل نعمة؛ دينية ودنيوية، والسيئات تدخل فيها كل معصية ومصيبة؛ والكل بتقدير الله تعالى؛ ولهذا قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤].

ولهذا فالعبد دائمًا بين نعمة من الله؛ يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار؛ وكلٌ من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل؛ وهذا معنى قوله في الحديث الصحيح ... : « سيِّد الاستغفار: أن يقول العبد: اللهم أنت ربِّي، لا إلـٰه إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك

---

(١) (إغاثة اللهفان) لابن القيِّم (٢/ ٢٣٣-٢٣٤).

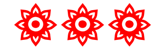
(٢) انظر (الحسنة والسيئة) لابن تيمية (ص: ٥٦).

(٣) النساء: ٧٩.

(٤) النساء: ٧٨.

عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت» فجمع في قوله : «**أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي**» مشاهدة المنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل؛ فمشاهدة المنَّة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلَّا مفلسًا...» (١).

فعنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه: أنه إذا أُنعم عليه شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ وهذه لا ينفك عنها أبدًا؛ فهو دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث(٢).



(١) نقله عنه تلميذه ابن القيِّم في (الوابل الصيب) (ص:١١).

(٢) انظر المرجع السابق (ص:٩).



المبحث الخامس عشر
في أن الاستغفار مع التسبيح

جاء الجمع بين الاستغفار والتسبيح في مواضع كثيرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (١).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «**سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك**» قالت: قلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «**جُعلت لي علامة في أُمَّتي إذا رأيتها قلْتها**» ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾» (٢).

وفي كفارة المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك**» (٣).

وعند ركوب الدابة: «**سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت...**» (٤).

وكذا في الركوع والسجود، وعند افتتاح صلاة الليل، وفي خاتمة الوضوء، وغيرها مما سبق ذكره(٥).

---

(١) غافر: ٥٥.

(٢) سبق تخريجه في (ص: ٣٤).

(٣) سبق تخريجه في (ص: ٣٣).

(٤) سبق تخريجه في (ص: ٤٣).

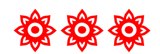
٥» انظر المبحث السابع.

و(سبحان الله) معناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص؛ فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل والنقائص.

(وبحمده)- الواو فيه للحال - ؛ ومعناه: أسبح الله متلبسًا بحمدي له، والحمد: معناه الإخبار عن محاسن الممدوح مع حُبِّه وإجلاله وتعظيمه.

فـ «الأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسُوءٍ، وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها؛ فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده» قاله ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

فالتسبيح يقتضي إثبات الكمال المطلق للربِّ جلَّ وعلا، والاستغفار يقتضي اعتراف العبد بنقصه، وافتقاره لمولاه وسيِّده.



(١) انظر (دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية) لابن تيمية (٥/ ٥٩)- بتحقيق محمد السيِّد الجليند .



المبحث السادس عشر
في ذكر الفرق بين استغفار الأبرار واستغفار المقرَّبين

الأبرار هم أصحاب اليمين؛ منزلتهم دون المقرَّبين وهم جمهور أهل الجنة، وأما المقرَّبون فهم السابقون المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا؛ وهم أخصُّ وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين، بل هم سادتهم؛ فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء؛ وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين[(١)].

وقد ذكر الله تعالى كلًا منهما في (سورة فاطر)، و(سورة الواقعة)، و(سورة الإنسان)، و(سورة المطففين).

فالأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات؛ ولهذا هم يستغفرون لأجل التقصير في ذلك.

وأما المقرَّبون فهم يفعلون الواجبات والمستحبات ويتركون المحرَّمات والمكروهات؛ فهم يستغفرون لأجل التقصير في تلك المقامات.

وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء؛ فقال : «**يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...**»[(٢)].

فالأبرار هم المتقربون بالفرائض، ولا يكلفون أنفسهم بالنوافل من فعل مستحب أو ترك مكروه.

والمقرَّبون تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض؛ فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون

(١) انظر (تفسير ابن كثير) لـ (سورة الواقعة).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

عليه من محبوباته أحبهم الربُّ حُبًّا تامًا.

وهؤلاء المقرَّبون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله ﷻ؛ فكانت أعمالهم كلُّها عبادات لله تعالى[١].

ولهذا قال من قال: «حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – معلقًا على هذه المقولة –: «هذا اللفظ ليس محفوظًا عمن قوله حجة، لا عن النبي ﷺ، ولا أحد من سلف هذه الأُمَّة وأئمتها. وإنما هو كلام؛ وله معنىً صحيح، وقد يُحمل على معنىً فاسد.

أما معناه الصحيح فوجهان:

أحدهما: أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقرَّبين؛ ومعنى كونه سيئة؛ أنه يُخرج صاحبه عن مقام المقرَّبين، فيُحرم درجاتهم؛ وذلك مما يسوء من يريد أن يكون من المقرَّبين.

فكل من أحب شيئًا وطلبه إذا فاته محبوبه ومطلوبه ساءه ذلك؛ فالمقرَّبون يتوبون من الاقتصار على الواجبات، لا يتوبون من نفس الحسنات التي يعمل مثلها الأبرار، بل يتوبون من الاقتصار عليها.

وفرق بين التوبة من فعل الحسن، وبين التوبة من ترك الأحسن والاقتصار على الحسن.

الثاني: أن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسنًا منه؛ إما واجبًا، وإما مستحبًا؛ لأن ذلك مبلغ علمه وقدرته، ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك، بل يؤمر بما هو أعلى منه، فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئًا.

مثال ذلك أن العاميَّ يؤمر بمسألة العلماء المأمونين على الإسلام والرجوع إليهم؛ بحسب قوة إدراكه –وإن كان في ذلك تقليد لهم –؛ إذ لا يؤمر العبد إلَّا بما يقدر عليه.

---

(١) انظر (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) (ص: ٢٣-٢٤).

وأما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسُّنَّة والاستدلال بهما، فلو تركوا ذلك وأتوا بما يؤمر به العاميُّ؛ لكانوا مسيئين بذلك...

وكذلك السابقون الأولون من هذه الأُمَّة فيما فعلوه من الجهاد والهجرة؛ لو تركوا ذلك واقتصروا على ما دونه؛ كان ذلك من أعظم سيئاتهم...

وكان الاقتصار على مجرَّد ذلك من حسنات الأبرار الذين ليسوا من أولئك السابقين.

وكذلك المرسلون لهم مأمورات، لو تركوها كان ذلك سيئًا، وإن كان فعل ما دونها حسنات لغيرهم ممن لم يؤمر بذلك ...

وذلك أن الإنسان يفضل على غيره إما بفعل مستحب في حقهما، وإما بما يؤمر به أحدهما دون الآخر فيفعله.

وتخصيصه بفعل قد يكون لقدرته، وقد يكون لامتحانه بسببه؛ كمن له والدان؛ فإنه يؤمر ببرهما؛ ويكون بذلك أفضل ممن لم يعمل مثل عمله؛ كما رُوي عن النبي ﷺ في حق المتصدقين بفضول أموالهم المشاركين لغيرهم في الأعمال البدنية: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(١).

فهؤلاء المفضلون في الاقتصاد على ما دون هذه الأمور سيئات في حقهم وحسنات لمن ليس مثلهم في ذلك.

فهذان الوجهان كلاهما معنى صحيح لقول القائل: حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين.

وأما المعنى الفاسد:

فأن يظن الظان أن الحسنات التي أمر الله بها أمرًا عامًا يدخل فيه الأبرار ويكون سيئات للمقرَّبين.

---

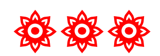
(١) رواه مسلم (٥٩٥).

مثل من يظن أن الصلوات الخمس، ومحبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، ونحو ذلك هي سيئات في حق المقرَّبين.

فهذا قول فاسد؛ غلا فيه قوم من الزنادقة المنافقين المنتسبين إلى العلماء والعباد؛ فزعموا أنهم يصلون إلى مقام المقرَّبين؛ لا يؤمرون فيه بما يؤمر به عموم المؤمنين من واجبات، ولا يحرم عليهم ما يحرم على عموم المؤمنين من المحرمات؛ كالزنا والخمر والميسر[١].

وكذلك زعم قوم في أحوال القلوب التي يؤمر بها جميع المؤمنين أن المقرَّبين لا تكون هذه حسنات في حقهم.

وكلا هذين القولين من أخبث الأقوال وأفسدها[٢].



(١) بل ذهب بعض الصوفية إلى أبعد من ذلك؛ فزعموا أن من كرامات شيوخهم شرب الخمور، انظر (الطبقات) لمحمد ضيف الله (ص:٨٣).

(٢) (التوبة والاستغفار) لابن تيمية (ص: ١٩٧-٢٠٠) مع شرحه (منهاج الأبرار)، وانظره في (جامع الرسائل) لابن تيمية (١/ ٢٥١- ٢٥٥) بتحقيق محمد رشاد سالم.



الاستغفار يكون من ترك مأمور، ومن فعل محذور؛ فإن كليهما من السيئات والذنوب.

فالعبد قد يعاقب بالوقوع في المعاصي والكفر؛ بسبب ذنوب لم يستغفر منها؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾(١).

فجعل سبحانه الرِّدَّة مسببة عن المعصية المذكورة؛ لأن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الرِّدَّة، وقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ ﴾ الباء للسببية(٢).

وقد يعاقب بالمصائب؛ بسبب ذنوب لم يستغفر منها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ (٣).

فهنا يُؤمر العبد بالصبر على المصيبة، وبالاستغفار من الذنوب التي كانت سببها.

وقد يعاقب بالحرمان من الرزق؛ بسبب ذنوب لم يستغفر منها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا

---

(١) محمد: ٢٥-٢٦.

(٢) انظر (الفروق) للقرافي (الفرق الثاني والتسعون بين قاعدة الاستغفار من الذنوب المحرَّمات وبين قاعدة الاستغفار من ترك المندوبات) (٢/ ٢٧١).

(٣) الشورى: ٣٠.

﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ...﴾[(١)].

وهذا يصحح معنى حديث ثوبان ﷺ : «إن الرجل ليُحرم من الرزق بخطيئة يعملها»[(٢)].

وأما ما جاء في الحديث الآخر: «إن الرزق لا تُنقصه المعصية، ولا تزيده الحسنة ...» فهو حديث موضوع[(٣)].

وقد يعاقب بالحرمان من المقامات العالية؛ بسبب ذنوب لم يستغفر منها؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ...﴾[(٦)].

ومن ذلك قول الضحاك بن مزاحم ﷺ : «ما من أحد تعلَّم القرآن ثم نسيه إلَّا بذنب يحدثه ...»[(٧)].

وقد يعاقب بتعسير الطاعات عليه؛ بسبب ذنوب سالفة لم يستغفر منها؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[(٨)].

---

(١) النساء: ١٦٠-١٦١.

(٢) رواه ابن ماجه (٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٨٠)، وضعفه الألباني في (الصحيحة) (١/ ١/ ٢٨٦-٢٨٨).

(٣) انظر (السلسلة الضعيفة) (١٨١)، و(ضعيف الجامع)(١٤٦٤)، و(موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة) (٣٩٤١).

(٤) المائدة: ١٠٨، التوبة: ٢٤، الصف: ٥.

(٥) الأنعام: ٢١.

(٦) الأعراف: ١٤٦.

(٧) رواه ابن المبارك في (الزهد) (ص: ٨٥)، وأبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص: ١٠٤)، وأورده ابن كثير في مقدمة (التفسير) (١/ ١١٩)، قال المحققون: «وإسناده جيد».

(٨) آل عمران: ١٥٥.

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: بسبب ذنوبهم السابقة؛ كما قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها» وقد كان من هؤلاء بعض أكابر الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

وقد تُعاقَب الشعوب والمجتمعات والدُّوَل بأن يُوَلَّ عليهم الأمراء والملوك والولاة الذين يتسلطون عليهم؛ ظلمًا وقسوةً، ويعاقبونهم بأكثر مما يستحقون، ويمنعونهم بعض حقوقهم؛ وذلك بسبب ذنوب تلك الشعوب التي لا يستغفرون الله تعالى منها؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[(١)].

وقال بعض الحكماء قديمًا: «كما تكونوا يُوَلَّى عليكم»[(٢)].

واستدل بعض أهل العلم بحديث جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الناس تبع لقريش في الخير والشرِّ**»[(٣)].

قال علي القاري رحمه الله: «وقيل: معناه إن كانوا خيارًا سلط الله عليهم أخيارًا منهم، وإن كانوا أشرارًا سلط الله عليهم أشرارًا منهم؛ كما قيل: أعمالكم عمالكم، وكما رُوي: كما تكونوا يُوَلَّى عليكم»[(٤)]، وكذلك قال المناوي رحمه الله تعالى[(٥)].

ولقد سُلِّط الحجاج بن يوسف على الأُمَّة بظلمه الكبير، ولما رأى الحسن

---

(١) الأنعام: ١٢٩.

(٢) هكذا ذكرت، والأفصح «كما تكونون»، ومدلول هذه الكلمة أصبح واقعًا غالبًا، حتى كأنها صارت قاعدة مطَّردة، والبعض ينسبها إلى النبي ﷺ؛ كما اشتهر ذلك عند الكثيرين، ولكنها لا تصح عنه ﷺ؛ وانظر (المقاصد الحسنة)(٨٣٥)، و(تذكرة الموضوعات) للفتني (١٨٢)، و(الفوائد المجموعة) للشوكاني (٦٢٤)، و(الضعيفة) (٣٢٠)، و(موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة) (١٨٤٠٠، ١٨٤٠١، ١٨٤٠٣).

(٣) رواه مسلم (١٨١٩).

(٤) (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لنور الدين ملا علي القاري (١١/ ١٣١).

(٥) انظر (فيض القدير) للمناوي (٣/ ١٨٩).

البصري رحمه الله تعالى تَزَمُّرَ الناس من ولايته بسبب ذلك نصح لهم مُستدلًا بهذه القاعدة؛ فقال : « إن الحجاج عقوبة من الله عز وجل لم تك، فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف، ولكن استقبلوها بتوبةٍ وتضرُّعٍ واستكانةٍ، وتوبوا تُكفَوه»[(١)].

وفي رواية : أن الحسن رحمه الله قاله لمن رآه يُحرِّض على الخروج[(٢)].

فتأمَّل ارتباط هذه القاعدة بالنهي عن الخروج عند السلف.

قال العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله – بعد حكاية شيء من سيرة عمر رضي الله عنه – : (هكذا كانت سيرة الخلفاء في صدر هذه الأُمَّة؛ حين كانت الرعية قائمةً بأمر الله، خائفةً، راجيةً لثوابه، فلما بدَّلت الرعية وغيَّرت وظلمت نفسها؛ تبدَّلت أحوال الرعاة؛ وكما تكونون يُوَلَّى عليكم»[(٣)].

وأطلتُ الكلام في هذه الجملة؛ لأن كثيرًا من الناس إذا ألَمَّت بهم المصائب، أو وقع غلاء الأسعار، أو أصابهم بعض ظلم الولاة أو الحكام؛ يُنزلون ذلك كلَّه بالحكام والولاة؛ ناسين أو متناسين ذنوبهم التي هي السبب الأكبر في ذلك، ثم لا يتوبون ولا هم يذَّكَّرون !! والله المستعان[(٤)].

وكذا ينبغي أن يستغفر العبد من تقصيره في أداء الحسنات، ومما كان يظنه حسنات، ولم يكن كذلك، ومن إعجابه برؤية حسناته وأنه فعلها وحصلت بقوته، وينسى فضل الله عليه.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في (العقوبات) (٥٢)، وابن سعد في (الطبقات) (٩/ ١٦٥)، قال شيخنا عبد المالك الرمضاني: « بإسناد صحيح » .

(٢) رواه ابن سعد في (الطبقات) (٩/ ١٦٤)، قال شيخنا عبد المالك الرمضاني: « بإسناد صحيح ».

(٣)(الضياء اللامع في الخطب الجوامع) لابن عثيمين (الخطبة العاشرة).

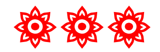
(٤) للمزيد من الفائدة انظر رسالة شيخنا عبد المالك الرمضاني – حفظه الله – (كما تكونوا يُولَّى عليكم).

وكذا يستغفر مما في النفس من الأمور التي لو قالها أو فعلها عُذِّب؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ...﴾ (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهو يغفر لمن يرجع عما في نفسه، فلم يتكلم به، ولم يعمل؛ كالذي همَّ بالسيئة ولم يعملها، وإن تركها لله كتبت له حسنة، وهذا مما يستغفر منه ويتوب؛ فإن الاستغفار والتوبة من كل ما كان سببًا للذم والعقاب، وإن كان لم يحصل العقاب، ولا الذم؛ فإنه يفضي إليه، فيتوب من ذلك؛ أي يرجع عنه، حتى لا يفضي إلى شرٍّ، فيستغفر الله منه؛ أي يطلب منه أن يغفر له، فلا يشقيه به، فإنه وإن لم يعاقب عليه فقد ينقص به.

فالذي يهم بالسيئات وإن كان لا يكتب عليه سيئة؛ لكنه اشتغل بها عما كان ينفعه، فينقص بها عمن لم يفعلها واشتغل بما ينفعه عنها ...

وقد يظن ظنون سوء باطلة، وإن لم يتكلم بها، فإذا تبيَّن له فيها، استغفر الله وتاب» (٢).



(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) (الاستغفار) (ص: ٣٥).



هذا المبحث جزء من الذي قبله، وقد أفردته بالذكر لوقوع الخلاف فيه؛ فهو محل إشكال عند الكثيرين؛ لأن النصوص صرَّحت بأن حقوق الخلق لا يتركها الله تعالى؛ فإمَّا أن يتحلَّلوا منها في الدنيا، وإما القصاص في الآخرة؛ فمن ذلك قول النبي ﷺ : «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله؛ فليتحلَّله منه اليوم قبل أن يأتي يومُ القيامة لا يُقبل فيه دينار ولا درهم ...**»(١).

وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا : «**الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغفر، وظلم لا يُغفر؛ فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يُغفر؛ فظلم العبد فيما بينه وبين ربِّه، وأما الظلم الذي لا يُترك؛ فظلم العباد؛ فيقتص الله بعضهم من بعض**»(٢).

قال ابن القيِّم رحمه الله : «وهذه المسألة فيها قولان للعلماء – هما روايتان عن الإمام أحمد –؛ وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لابدَّ من إعلامه وتحليله؟

والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها؛ وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

والذين قالوا لابدَّ من إعلامه؛ جعلوا الغيبة كالحقوق المالية!

والفرق بينهما ظاهر؛ فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدق بها.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في (مسنده) (٢١٠٩)، وأبو نعيم في (الحلية) (٦/ ٣٠٩)، وله شاهد من حديث عائشة حسَّنه به الألباني في (الصحيحة) (١٩٢٧).

+

وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلامه إلَّا عكس مقصود الشارع ﷺ ؛ فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رُمي به، ولعلَّه يُهيِّج عداوته ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله؛ فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يُبيحه ولا يُجوِّزه فضلًا عن أن يوجبه ويأمر به.

ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها. والله تعالى أعلم»[(١)].

وقال المحدِّث الألباني رحمه الله - تعليقًا على كلام النووي رحمه الله (وإن كان غيبة استحله منها) - : «هذا إذا لم يترتب على الاستحلال نفسه مفسدة أخرى، وإلا فالواجب حينئذ الاكتفاء بالدعاء له»[(٢)].

وقال العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله : «وقال بعض العلماء: لا تذهب إليه، بل فيه تفصيل: فإن كان عَلِم بهذه الغيبة؛ فلا بدَّ أن تذهب إليه وتستحله، وإن لم يكن عَلِم فلا تذهب إليه، واستغفر له، وتحدَّث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات؛ وهذا القول أصح ...»[(٣)].

والخلاصة: أن يقال: إن كان يعلم المغتاب بهذه الغيبة؛ فهنا لابدَّ من الذهاب إليه واستحلاله؛ كما قال العلاَّمة ابن عثيمين .

وإن لم يكن يعلم فهنا ينظر في الأمر؛ فإن لم يكن في ذهابه واستحلاله مفسده؛ فهنا أيضًا يذهب إليه؛ كما هو مفهوم من كلام المحدِّث الألباني، وإن كان يترتب عليه مفسدة؛ فهنا الأخذ بما رجَّحه ابن القيِّم وشيخ الإسلام وغيرهما أولى، وحينئذٍ يستغفر لنفسه لوقوعه في الذنب، ويستغفر للمغتاب؛ عسى أن تبرأ ذمته من حقه، والله تعالى أعلم.

---

(١) (الوابل الصيب) (ص: ١٥٦).

(٢) (رياض الصالحين) بتخريج الألباني (باب التوبة) (ص: ٤٧).

(٣) (شرح رياض الصالحين) لابن عثيمين (١/ ٦١).



المبحث التاسع عشر
في طلب الاستغفار من الصالحين

إن من زاد اهتمامه بذنوبه يسلك كل سبيل ينال به مغفرة الله تعالى، ويأخذ بكل سبب؛ وهذه طريقة العارفين.

ومن تلك الأسباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الخير والصلاح؛ فقد أرشد إليه النبي ﷺ، وفعله الصحابة ﭫ.

فعن عمر بن الخطاب ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلًا يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أمٍّ له، قد كان به بياض؛ فدعا الله؛ فأذهبه عنه، إلَّا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**»(١).

وفي رواية: «**إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**»(٢).

وفي أخرى: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلَّا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلَّا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي؛ فاستغفر له، فقال له عمر: أين تُريد؟ قال:

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) المرجع السابق.

الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إليَّ ...

وفيه: ففطن له الناس – بعد ذلك – فانطلق على وجهه [(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله : «... وهذا دليل على أنه يُخفي حاله، ويكتم السرَّ الذي بينه وبين الله عز وجل ، ولا يظهر منه شيء يدل لذلك؛ وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضي الله عنهم ...

وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم» [(٢)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : «ومن زاد اهتمامه بذنوبه، فربما تعلَّق بأذيال من قلَّت ذنوبه، فالتمس منه الاستغفار.

وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار، ويقول: إنكم لم تذنبوا.

وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكُتَّاب: قولوا اللهم اغفر لأبي هريرة، فيُؤمِّن على دعائهم.

قال بكر المزني: لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين؛ يقول: استغفروا لي، لكان نوله أن يفعل ...» [(٣)].



(١) رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) شرح مسلم (٨/ ٣٠٠).

(٣) (جامع العلوم والحكم) (٢/ ٤١٦).



المبحث العشرون
في ذكر الاستغفار للوالدين

فإن الوالدين هما أولى من يستغفر له المسلم بعد نفسه؛ وهذا من البِرِّ والإحسان الذي أمر الله به في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (١)، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة؛ فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**» (٣).

قال السِّندي رحمه الله: «باستغفار ولدك لك» أي: فينبغي للولد أن يستغفر للوالدين» (٤).

وهكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم والصالحون بعدهم على مرِّ الزمان يستغفرون للوالدين.

قال محمد بن سيرين رحمه الله: «كنا عند أبي هريرة ليلةً، فقال: «اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأمي، ولمن استغفر لهما»، قال محمد: فنحن نستغفر لهما؛ حتى ندخل في دعوة أبي هريرة» (٥).

وهذا يُقيَّد بما إذا كانا مُسلِمَين؛ كما سيأتي في المبحث الثامن والعشرين.

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) الإسراء: ٢٤.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وأحمد (٢/ ٥٠٩)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٣٦)، وحسنه العراقي في (تخريج الإحياء) (١/ ٤٣٩)، وأورده الألباني في (الصحيحة) (١٥٩٨) وقال: «وهذا إسناد حسن، وأما قول البوصيري: «إسناد صحيح» ففيه تساهل».

(٤) (شرح سنن ابن ماجه) للسِّندي (٤/ ١٨٥).

(٥) رواه البخاري في (الأدب المفرد) (٣٧)، وصححه الألباني في تخريجه لـ(الأدب المفرد).



المبحث الحادي والعشرون
في ذكر الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات

عن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»(١).

قال الشوكاني ﵀ : «وفي الحديث دليل على أنها تلحق بالمؤمن في استغفاره للمؤمنين والمؤمنات حسنات بعدد من استغفر له، فإن كانوا جماعة محصورين كانت له حسنات محصورة على عددهم، ومن أراد الاستكثار من فضل الله من الحسنات فليقل: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ فإنه يكُتب له من الحسنات ما لا يحيط به حصر ولا يتصوره فكر، وفضل الله واسع»(٢).

وقال ابن القيِّم ﵀ : «والجميع – أي: جميع المسلمين –(٣) مشتركون في الحاجة بل الضرورة إلى مغفرة الله وعفوه ورحمته، فكما يحب أن يستغفر له أخوه المسلم، كذلك هو أيضًا ينبغي أن يستغفر لأخيه المسلم، فيصير هِجِّيْرَاه(٤): ربِّ اغفر لي ولوالدي والمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات...

وسمعت شيخنا يذكره، وذكر فيه فضلًا عظيمًا لا أحفظه(٥)، وربما كان من جملة

---

(١) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٣٥٢) : «رواه الطبراني وإسناده جيِّد»، وأورده الألباني في (صحيح الجامع) (٦٠٢٦).

(٢) (تحفة الذاكرين) للشوكاني (٨٢٦).

(٣) ما بين العلامتين غير موجود في الأصل.

(٤) أي دأبه وعادته.

(٥) لعل مراده بالفضل العظيم ما دل عليه الحديث المتقدم ذكره – والله تعالى أعلم.

أوراده التي لا يُخِلُّ بها...»[(١)].

قال شيخنا عبد الرازق العباد حفظه الله : «فتأمل – رحمك الله – عِظم هذا الأجر المترتِّب على هذا الدعاء وكثرته، فالمسلم عندما يقول في دعائه، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات؛ يكون له بكل واحد من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات المتقدمين منهم والمتأخرين حسنة؛ فهي حسنات لا تُحصى، فأعداد المسلمين المتقدمين والمتأخِّرين لا يحصيهم إلَّا الله جلَّ وعلا.

ولهذا كان هذا الدعاءُ العظيم في جملة أدعية النبيين، وأمر الله به خاتمهم محمدًا ﷺ ، وذكره في جملة ما امتدح به عبادة المؤمنين.

قال الله تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[(٢)].

وقال تعالى اخبارًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[(٣)].

وقال تعالى آمرًا نبيه محمدًا ﷺ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[(٤)].

وقال تعالى عن عباده المؤمنين الذين جاؤوا بعد الصحابة:﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ » [(٥)] [(١)].

---

(١) مفتاح دار السعادة) لابن القيِّم (٢/ ٢٩٧).

(٢) نوح: ٢٨.

(٣) إبراهيم:

(٤) محمد: ١٩.

(٥) الحشر: ١٠.

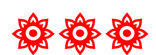
فإذا علمت هذا – رحمك الله – فاعلم أنك كلما دعوت لإخوانك المسلمين بخير أعطاك الله مثله؛ كما دل عليه حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ عند رأسه ملك موكَّل؛ كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»[٢].

قال أبو بكر الطرطوشي المالكي رحمه الله : «وهذا الحديث يفيد فائدة عظيمة؛ لأنه إذا استجيب لك في أخيك لأنه غائب عنك؛ رجونا أن يُستجاب للملك فيك لأنك غائب عنه»[٣].

فالمستغفر للمؤمنين والمؤمنات ينال الفضل من ناحيتين:

ينال حسنات بعدد من استغفر لهم من أهل الإيمان.

وينال مغفرة ذنوبه؛ لحديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي مرَّ قريبًا.



(١) (فقه الأدعية والأذكار) لشيخنا عبد الرزاق (١/ ٤٨٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٣) (الدعاء المأثور وآدابه) للطرطوشي (ص: ٧٠).



المبحث الثاني والعشرون
في ذكر الاستغفار لمن قصَّرت في حقوقهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكذلك إذا وجد العبد تقصيرًا في حقوق القرابة، والأهل والأولاد، والجيران والإخوان؛ فعليه بالدعاء لهم والاستغفار.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما للنبي ﷺ: إن لي لسانًا ذربًا على أهلي، فقال له: «**أين أنت من الاستغفار! إني لاستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[1] ا. هـ[2].

فالدعاء بالخير والمغفرة يجبر النقص ويسدُّ الخلل ويكون عوضًا عن التقصير في حقِّ الآخرين، ويؤيد هذا قوله ﷺ: «... **ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تَروْا أنكم كافأتموه**»[3].

وقوله ﷺ: « **يا أم سليم، أما تعلمين أني اشترطت على ربي؛ فقلت: إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيُّما أحدٍ دعوتُ عليه من أُمَّتي بدعوةٍ ليس لها بأهل؛ أن يجعلها له طهورًا وزكاةً وقربةً يُقرِّبه بها منه يوم القيامة**» وفي رواية: « **فاجعلها له كفارةً وقربةً...**»[4].

ففي هذا الحديث وأمثاله: أن النبي ﷺ كان يقع منه في الأحوال النادرة شيء من

---

(١) حديث حذيفة رواه ابن ماجه (٣٨١٧)، والحاكم (١٨٨٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» وضعفه الألباني كما في (الروض النضير)(٢٨٠).

(٢) (الاستغفار) (ص: ٤٤).

(٣) رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٢٣٦٩)، والألباني في (صحيح الترغيب) (٨٥٢).

(٤) رواه مسلم (٢٦٠٣،٢٦٠١).

ذلك؛ إذ لم يكن ﷺ فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا منتقمًا لنفسه

بل كان كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١)

فإذا وقع منه مثل ذلك ، ولم يكن الآخر أهلًا له؛فقد دعا النبي ﷺ بأن يكون ذلك كفارةً وطهورًا وقربةً له يوم القيامة.

وقد يقال: كيف يدعو النبي ﷺ على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبُّه ونحو ذلك؟

قال النووي رحمه الله : « فالجواب ما أجاب به العلماء؛ ومختصره وجهان:

أحدهما: أن المراد ليس بأهلٍ لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلًا لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

والثاني: أن ما وقع من سبِّه ودعائه ونحوه ليس بمقصود؛ وهو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نيَّة؛ كقوله: تربت يمينك، وعقرى حلقى، وفي هذا الحديث: لا كبرت سنك، وفي حديث معاوية : لا أشبع الله بطنه ، ونحو ذلك؛ لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء؛ فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابةً؛ فسأل ربَّه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمةً وكفارةً وقربةً وطهورًا وأجرًا ...»(٢).



---

(١) القلم: ٤.

(٢) (شرح صحيح مسلم) (٨/ ٣٦٨).



المبحث الثالث والعشرون
في ذكر استغفار الملائكة للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [(١)].

فأخبر سبحانه عن الملائكة المقرَّبين من حملة العرش ومن حوله بأنهم يسبحون بحمد ربهم؛ أي يقرنون التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، وأنهم يستغفرون للذين آمنوا من أهل الأرض، فقيَّض الله سبحانه ملائكته المقرَّبين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يُؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، كما ثبت في الحديث : «**إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله**» [(٢)].



(١) غافر: ٧-٩.

(٢) انظر (تفسير ابن كثير) (٧/ ١٧٠-١٧١)، والحديث سبق تخريجه قريبًا.



عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضلَ العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ**»[١].

سبق أن الملائكة حملة العرش ومن حوله يستغفرون لعموم المؤمنين.

لكن من جمع بين العلم والإيمان، فإنه يستغفر له من في السموات والأرض وما في الماء من الحيتان؛ ذلك لأن العلم نفعُه متعدٍ، والعلماء يُصلح الله بهم الأرض بعد فسادها.

قال الخطَّابي رحمه الله: «وقيل في قوله: «**تستغفر له الحيتان في جوف الماء**»: إن الله قد قيَّض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان بالعلم على ألسنة العلماء أنواعًا من المنافع والمصالح والأرزاق؛ فهم الذين بيَّنوا الحكم فيها فيما يحل ويحرم منها، وأرشدوا إلى المصلحة في بابها، وأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها؛ فألهمها الله الاستغفار للعلماء؛ مجازاة على حسن صنيعهم بها وشفقتهم عليها»[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٦٢٩٧).

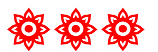
(٢) (معالم السنن) للخطابي (٤/ ١٨٣).

فهذا الفضل للعالم الذي يُعلِّم الناس الخير؛ يستغفر له كلُّ شيء.

وأما العالم الذي يكتم ما أوجب الله بيانه؛فإنه يلعنه كل شيء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [(١)].

وقد وبَّخ الله تعالى العلماء توبيخًا شديدًا؛ على تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ذلك يكثر به الفساد في الأرض؛ فقال : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [(٢)].

قال ابن كثير رحمه الله : « يعني : هلا كان ينهاهم الربانيون والأحبار عن تعاطي ذلك؛ والربانيون: هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار: هم العلماء فقط﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ، قال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني الربانيين؛ أنهم بئس ما كانوا يصنعون؛ يعني في تركهم ذلك- ثم نقل ما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما في القرآن آية أشدُّ توبيخًا من هذه الآية»[(٣)].



(١) البقرة: ١٥٩-١٦٠.

(٢) المائدة :٦٣.

(٣) انظر (تفسير ابن كثير) (٣/ ١٩٣).



المبحث الخامس والعشرون
في ذكر ملازمة النبي ﷺ للاستغفار

لقد كان إمام المرسلين وقدوة المتقين وسيِّد الناس أجمعين ملازمًا للاستغفار في جميع أوقاته، مع أنه ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[1].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، لِمَ تصنع هذا، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[2].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يُحصون له في مجالسه الاستغفار الكثير.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنا كنا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت التواب الغفور**»[3].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لَيُغان على قلبي، وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[4].

قال ابن الأثير رحمه الله - في معنى قوله: «**إنه ليُغان على قلبي**» -: «أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر؛ لأن قلبه أبدًا كان مشغولًا بالله تعالى، فإن عرض له

---

(١) الفتح: ١-٢.

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٣) سبق تخريجه في (ص: ٣٣).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٢).

وقتًا ما عارضٌ بشري يشغله؛من أمور الأُمَّة والملَّة ومصالحها؛ عدَّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا؛ فيفزع إلى الاستغفار» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» (٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير**» (٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صلى رسول الله ﷺ الضحى، ثم قال: «**اللهم اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت التواب الرحيم**» حتى قالها مائة مرة(٤).

وعنها رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت - وهو مُسنَدٌ إلى صدرها وأصغت إليه- وهو يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**» (٥).

وفي هذا إشارة إلى ملازمته ﷺ للاستغفار في كل أوقاته وجميع أحيانه إلى آخر لحظات حياته الكريمة ﷺ (٦).

❁❁❁

---

(١) (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير مادة (غين).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧).

(٣) رواه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩).

(٤) رواه البخاري في (الأدب المفرد) (٦١٩)، وقال الألباني في تخريجه لـ(الأدب المفرد): «صحيح الإسناد».

(٥) سبق تخريجه في(ص: ٣٤).

(٦) لمزيد من الفائدة انظر (فقه الأدعية والأذكار) لشيخنا عبد الرزاق (١/ ٥٣٧-٥٤١).



المبحث السادس والعشرون
في ذكر استغفار الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم

لقد كان الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام - مع كمال تعبُّدهم وتمام اجتهادهم في مرضاة ربِّهم ﷻ - ملازمين للاستغفار والتوبة والافتقار للعزيز الغفار، وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من القرآن عن غير واحد من الأنبياء استغفارهم وتوبتهم إلى الله تعالى؛ فهذان الأبوان الكريمان عليهما السلام ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[(١)].

وهذا نوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[(٢)].

وقال أيضًا: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[(٣)].

وهذا إبراهيم عليه السلام قال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[(٤)].

وقال أيضًا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٥)].

---

(١) الأعراف: ٢٣.
(٢) هود: ٤٧.
(٣) نوح: ٢٨.
(٤) إبراهيم: ٤١.
(٥) البقرة: ١٢٨.

وهذا موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

وقال أيضًا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢).

وقال أيضًا: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

وقال أيضًا: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾(٤).

وهذا داود عليه السلام قال الله تعالى عنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾(٥).

وهذا سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(٦).

وهذا يونس عليه السلام قال الله تعالى عنه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(٧).

فهذه الآيات مشتملة على توبة الأنبياء واستغفارهم مع ما هم عليه من الاجتهاد، وقد ذكرها الله تعالى عنهم في معرض الثناء عليهم وبيان فضلهم وكمالهم؛

---

(١) القصص: ١٦.

(٢) الأعراف: ١٥١.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

(٤) الأعراف: ١٥٥.

(٥) ص: ٢٤.

(٦) ص: ٣٥.

(٧) الأنبياء: ٨٨.

ليتأسى بهم الخلق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «والله تعالى قصَّ علينا قصص توبة الأنبياء؛ لنقتدي بهم في المتاب»[١].



(١) (مجموع الفتاوى) (١٥/ ١٨٠).



المبحث السابع والعشرون
في ذكر استغفار السلف الصالح والصالحين بعدهم

لقد أثنى الله تعالى على السلف الصالح رضي الله عنهم بإيمانهم وطاعتهم واستغفارهم في غير موضع من كتابه.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2].

وقال جلَّ وعلا مُخبرًا عنهم: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[3].

وأخبر سبحانه أنه يخاطب أهل النار يوم القيامة مذكرًا لهم بذنوبهم في الدنيا؛ التي منها استهزاؤهم بالمؤمنين المستغفرين؛ فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝١٠٩ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يُحيي الليل صلاةً، ثم يقول : «يا نافع، أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعود إلى صلاته، فإذا قال له: نعم، قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح»[5].

---

(١) الذاريات: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٦.

(٣) آل عمران: ١٩٣.

(٤) المؤمنون: ١٠٩-١١٠.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٣٠٤٣)، وأبو نعيم في (الحلية) (١/ ٣٠٣-٣٠٤)، وجود اسناده الحافظ في (الإصابة) (٤٨٣٦).

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: « كنا عند أبي هريرة ليلةً، فقال: « اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأُمِّي، ولمن استغفر لهما »، قال محمد: فنحن نستغفر لهما؛ حتى ندخل في دعوة أبي هريرة»[(١)].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وشهدت شيخ الإسلام قدَّس الله روحه إذا أعيته المسائل واستعصت عليه؛ فرَّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستغاثة بالله واللَّجَأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته؛ فقلَّما يلبث المدد الإلٰهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ.

ولا ريب أن من وفِّق لهذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبُه في ميادينه حقيقةً وقصدًا؛ فقد أُعطِي حظه من التوفيق.

ومن حُرِمه؛ فقد مُنِع الطريق والرفيق، فمتى أُعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق؛ فقد سُلك به الصراط المستقيم ؛ وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم» [(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة؛ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل؛ حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل.

قال: وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي» [(٣)].

ومن الأدعية التي ذُكرت عن بعض المستغفرين: « اللهم ، إني أستغفرك من كل ذنب تبتُ إليك منه ثم عدتُ فيه، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم

---

(١) رواه البخاري في (الأدب المفرد) (٣٧)، وصححه الألباني في تخريجه لـ(الأدب المفرد).

(٢) (إعلام الموقعين) لابن القيِّم (٦/ ٦٧-٦٨).

(٣) نقله عنه تلميذه محمد بن عبد الهادي في (العقود الدرية) (ص: ٦).

أوف لك به، وأستغفرك من كل عمل أردتُ به وجهك فخالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمتَ بها عليَّ، فاستعنتُ بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة، من كل ذنب أتيتُه في ضياء النهار وسواد الليل، في ملأ أو خلاء، وسرٍّ وعلانية يا حليم »[(١)].

وسُمِعَ أعرابيٌّ – وهو متعلق بأستار الكعبة – يقول : « اللهم ، إن استغفاري مع إصراري للؤم، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني! وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك! يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك، يا أرحم الراحمين[(٢)].

وممَن عُرِفَ – في هذا العصر – بكثرة ذكره لله تعالى واستغفاره وملازمته لذلك دائمًا؛ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى – مع ما جمع من فنون العلم، وخصال الخير، وبذل المعروف لكافة الناس –؛ فقد شهد له بذلك القريب والبعيد، والخاص والعام ؛ فرفع الله من منزلته، ونسأله له الفردوس من جنته.



(١) انظر (إحياء علوم الدين) للغزالي (١/ ٤٤٠).

(٢) انظر المرجع السابق



المشركون حال شركهم لا يجوز الاستغفار لهم؛ لأنهم ليسوا أهلًا لمغفرة الله تعالى، ولهذا لما توفي أبو طالب عمُّ النبي ﷺ مشركًا، فقال النبي ﷺ : «**لاستغفرن لك ما لم أُنْه عنك**»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[1][2].

وأخبر جلَّ وعلا أن الاستغفار لهم لا ينفعهم؛ فقال لرسوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ...﴾[3].

ولا يشكل علينا استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك؛ كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[4].

فقد كان يستغفر لأبيه مدة حياة أبيه؛ وكان ذلك لأجل موعدة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[5].

فلما مات أبوه مشركًا تبيَّن له أنه عدوٌ لله فتبرأ منه؛ كما أخبر الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[6].

(١) التوبة: ١١٣.
(٢) رواه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤).
(٣) التوبة: ٨٠.
(٤) إبراهيم: ٤١.
(٥) مريم: ٤٧.
(٦) التوبة: ١١٤.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات مشركًا، فلما مات تبيَّن له أنه عدوٌ لله فلم يستغفر له»[(١)].

وهكذا استغفر بعض الصحابة لقراباتهم من المشركين؛ وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك، حتى نزلت هذه الآية، وأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ...﴾[(٢)]؛ يعني إلَّا في هذا القول، فلا تتأسوا به؛ قال ابن كثير رحمه الله :«أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها؛ إلَّا في استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرأ منه»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يتأسوا بإبراهيم ومن اتَّبعه، إلَّا في قول إبراهيم لأبيه:﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به»[(٤)].

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم – لما آذاه المشركون يوم أحد– : «اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون»[(٥)].

---

(١) رواه الطبري(١١/ ٥٥)، وصححه السيوطي في (الفتاوي) (٢/ ٢١٤)، والألباني في (أحكام الجنائز) (ص: ١٢٤).

(٢) (الممتحنة: ٤).

(٣) (تفسير ابن كثير) (٨/ ١١٢).

(٤) (مجموع الفتاوى) (١/ ١٤٦).

(٥) رواه ابن حبان في (صحيحه) (٩٧٣)، والطبراني في (الكبير) (٥٦٩٤)، والآجُرِّي في (الشريعة) (١٠٠٤)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : « رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح»، وحسنه شيخنا عليٌّ الحلبيُّ– بالشاهد– في تعليقه على(مفتاح دار السعادة)(١/ ٣١٣).

وما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًا من الأنبياء

فللعلماء عنه أجوبة عدة:

١. أن المراد: الدعاء لهم بالهداية إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة .

٢. المراد به: العفو عما جنوه عليه في نفسه، لا محو ذنوبهم كلها؛ لأن ذنب الكفر لا يُمحى إلَّا بالدخول في الإسلام[١].

٣. أن المراد : اغفر لهم فلا تُعجِّل عليهم العذاب في الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[٢][٣].

٤. أن هذا كان قبل نزول النهي الصريح عن الاستغفار للمشركين؛ ويؤيد ذلك أنه لما توفي عبد الله بن سلول في السَّنة التاسعة من الهجرة، وأراد النبي ﷺ أن يُصلِّي عليه؛ أخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تُصلِّي عليه وهو منافق، فقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال : « إنما خيَّرني الله – أو أخبرني الله – فقال :﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ فقال: سأزيده على سبعين...»[٤].

قال الحافظ ابن حجر : «... ومحصل الجواب : أن عمر فهم من قوله : ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ منع الصلاة عليهم؛ فأخبره النبي ﷺ أن لا منع، وأن الرجاء لم ينقطع بعد»[٥].

ضربه قومُه فأذوه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول : « اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» رواه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (١٧٩٢)؛ فهو حديث آخر.

(١) انظر (فتح الباري) (كتاب الدعوات – باب الدعاء للمشركين) (١١/ ٢٢٩).

(٢) (فاطر:٤٥).

(٣) انظر (مجموع الفتاوى) (١/ ١٤٤)، و(قاعدة جليلة) لابن تيمية (ص:٢٥).

(٤) رواه البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٥) (فتح الباري) (كتاب الجنائز- باب الكفن في القميص الذي يُكَفُّ أو لا يُكَفُّ ومن كُفِّن بغير قميص)(٣/ ١٧٣).

ولم يكن آخر الآية : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ نزل مع أولها، ولو كان نزل مع صدر الآية؛ لأقترن بالنهي العلة؛ وهي صريحة في أن قليل الاستغفار وكثيره لا يُجدي[١].

وآية النهي الصريح التي في (سورة براءة) فقد ذكر غير واحد من المحققين أن نزولها كان متأخرًا جدًّا عن وفاة أبي طالب؛ فإن أبا طالب مات بمكة قبل الهجرة اتفاقًا، وآية براءة نزلت بالمدينة، وكان لنزولها عدة أسباب؛ ولهذا قال الحافظ ابن حجر : « والترجيح أن نزولها كان متراخيًا عن قصة أبي طالب جدًا؛ وأن الذي نزل في قصته ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ... ﴾ ...»[٢].

وقال في موضع آخر- بعد إيراده عدة أسباب لنزولها - : « فهذه طرق يُعضِّد بعضُها بعضًا؛ وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة أبي طالب؛ ويؤيده أيضًا أنه ﷺ قال يوم أحد – بعد أنْ شُجَّ وجهه- : « **ربِّ اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون**»...

ويؤيد تأخير النزول ما تقدم في تفسير (براءة) من استغفاره ﷺ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك؛ فإن ذلك يقتضي تأخير النزول، وإن تقدم السبب...»[٣].

إذن فلا يجوز الاستغفار لأحد من المشركين سواءً كان حيًّا أو بعد موته.

قال الإمام النووي رحمه الله : «الصلاة على الكافر والدعاء له بالمغفرة حرام بنص القرآن والإجماع»[٤].

---

(١) انظر المرجع السابق (كتاب التفسير- باب «تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا »(٨/ ٤٢٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (باب -« إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ »(٨/ ٦٢٤).

(٤) (المجموع) للنووي (٥/ ٨٧).

لكن لا بأس، بل يحسن الدعاء للمشركين بالهداية والتوفيق لقبول الحق؛ كما دعا النبي ﷺ لبعض المشركين بالهداية [(١)].



(١) انظر (صحيح البخاري) (٢٩٣٧).

+



المبحث التاسع والعشرون
في بيان حكم الاستغفار لأهل البدع والأهواء والفسوق

أهل البدع والأهواء هم الذين شاقوا الرسول ﷺ واتبعوا غير سبيل الصحابة ﵃، وقدَّموا آراءهم ونصروها واستدلوا على صحتها في زعمهم؛ حتى عُدَّ خلافُهم خلافًا وشبهتُهم منظورًا فيها ومحتاجًا إلى ردِّها والجواب عنها؛ كالروافض، والصوفية،والخوارج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : «والبدعة التي يُعدُّ بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسُّنَّة مخالفتها للكتاب والسُّنَّة؛ كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة»[(١)].

وأهل البدع قسمان:

القسم الاول: مَن بدعته مكفِّرة؛ كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله تعالى والقول بخلق القرآن، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله تعالى، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه؛ وهؤلاء منهم من قصده هدم الدين وتشكيك أهله فيه؛ فهؤلاء زنادقة مقطوع بكفرهم، وآخرون مُلبَّس عليهم؛ فهؤلاء إنما يُحكَم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم.

القسم الثاني: مَن بدعته غير مكفِّرة؛ كمن نتجت بدعته عن تأويل؛ كالأشعرية، وأهل التعبُّد بالرقص والطبول، وإحداث الاحتفالات بالموالد وغيرها[(٢)].

وأمَّا أهل الفسوق: فهم المعروفون بالوقوع في الكبائر؛ كأصحاب الفواحش ،

---

(١) (مجموع الفتاوى) (٣٥/ ٤١٤).

(٢) انظر (موقف أهل السُّنَّة والجماعة من أهل الأهواء والبدع) للرحيلي (١/ ١٠٤-١٠٦ ، ١١٨-١٢٢).

والمغنيين، ومدمني الخمر، والقتلة، والبغاة، والسُّرَّاق، ونحوهم.

فأمَّا مَن بدعته مكفِّرة؛ فهؤلاء يعاملون معاملة المشركين؛ فلا يجوز الاستغفار لهم – بعد إقامة الحجة عليهم – ولا الصلاة على موتاهم، ويجوز الدعاء لهم بالهداية؛ كما سبق في المبحث السابق.

وأمَّا مَن بدعته مفسِّقة غير مكفِّرة، أو كان من أهل الفسوق؛ فهؤلاء يُدعى لهم بالهداية، ويجوز الاستغفار لهم.

وتجوز الصلاة عليهم من عامة المسلمين.

أمَّا الإمام وأهل العلم والفضل فالأولى أن يتركوا الصلاة عليهم؛ زجرًا لأمثالهم، مع الاستغفار لهم في الباطن؛ ليجمعوا بين المصلحتين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا ترك الإمام وأهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور؛ زجرًا عنها، لم يكن ذلك مُحرِّمًا للصلاة عليه والاستغفار له، بل قال النبي ﷺ – فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه؛ وهو الغال، وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له –: «صلُّوا على صاحبكم»[(١)].

وروي أنه كان يستغفر للرجل في الباطن، وإن كان في الظاهر يَدَع ذلك؛ زجرًا عن مثل مذهبه»[(٢)].

وقال المحدِّث الألباني رحمه الله: «الفاجر المنبعث في المعاصي والمحارم؛ مثل تارك الصلاة والزكاة مع اعترافه بوجوبها، والزاني، ومدمن الخمر، ونحوهم من الفساق؛ فإنه يُصَلَّى عليهم، إلَّا أنه ينبغي لأهل العلم والدين أن يَدَعُوا الصلاة عليهم؛ عقوبة وتأديبًا لأمثالهم؛ كما فعل النبي ﷺ؛ وفي ذلك أحاديث» ثم ذكرها[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢٢٩٨)، ومسلم (١٦١٩).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٧/ ٢١٧).

(٣) انظر (أحكام الجنائز) (ص ١٠٨-١٠٩)؛ ولمزيد الفائدة انظر (موقف أهل السُّنَّة والجماعة من أهل الأهواء) (١/ ٤١٩-٤٣٥).

+

المبحث الثلاثون
في بيان معنى وحكم الاستغفار والتوبة من الحسنات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «إن التائب من الحسنات إن علم أنها حسنات وتاب منها؛ فقد أذنب إما بكفر أو فسق أو معصية، وإن لم يعلم أنها حسنات؛ فهو ضال جاهل؛ لأنه إذا تاب مما يُسَمَّى حسنة في الشريعة حقيقة قد أمر الله بها؛ فهو راجع عن طاعة الله التي هي طاعته؛ وهي حسنة.

والرجوع عن طاعة الله ودينه؛ لا يخرج عن أن يكون ردة عن أصل الدين؛ فيكون كفرًا مغلظًا، وإما عن كماله؛ هذا لو كان الرجوع بنفس الترك، فإنَّ تَرْكَ الإيمان كُفْرٌ، وتَرْكَ الواجبات إما فسق وإما معصية، وترك المستحبات المتطوَّعةَ يؤخِّر درجته.

هذا إذا كان تركًا محضًا، فأما إذا اعتقد مع ذلك أن الحسنات التي يحبها الله ورسوله مما يتاب منها بحيث يندم العبد عليها؛ فيعتقد أن تركها خير من فعلها، أو أنها ليست مأمورًا بها، أو أنها لا تُقرِّب إلى الله أو لا تنفع عنده، أو أبغضها وكرهها ورجع عنها وتألم من فعلها متديِّنا بذلك؛ فهذا كافر مرتد تجب استتابته بلا نزاعٍ بين العلماء ؛ وهذا هو مُسمَّى التوبة؛ فعُلم أن القول : «الحسنات يُتاب منها» كفر محض.

وأما إن لم يعلم أنها حسنات، بل تاب مما كان يُسمِّيه – أو غيره – حسنات أو كان حسنة في الشريعة ولم يعلم العبد أنه حسنة، بل ظن أنه سيئة، أو كان سيئة منهيًا عنها، واعتقد المرء أنه حسنة مأمور بها؛ فهو ضال جاهل؛ وهذا عليه أن يتوب من هذا الاعتقاد والعمل الذي يعتقد أنه حسنة؛ كما يتوب كلُّ ضال من الكفار وأهل الأهواء وأهل الكتاب، والمبتدعة؛ كالخوارج والروافض والقدرية والجهمية وغيرهم ...» [(١)].

---

(١) (التوبة والاستغفار) (ص: ٢٠١)، و(جامع الرسائل)(١/ ٢٥٥-٢٥٦).

ويجوز أن يستغفر المرء ويتوب مما يَعُدُّه حسنات له وهو مقصر في فعله، أو خائف من تقصيره في فعله؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ قالت: أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال : «لا يا بنت أبي بكر – أو يا بنت الصديق –؛ ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويُصلِّي، وهو يخاف ألا يتقبل منه» [2]؛ أي يخاف من الذي يتقيه في العمل.

فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقًا في إخلاصه الدين لله، أو أن لا تكون موافقة لما أمر الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم [3].

ومن الناس من يقول بجواز الاستغفار والتوبة من الحسنات، ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [4].

فيزعم أن في المؤمنين من لا ذنب له، فيكون أمره بالتوبة أمرًا بالتوبة من الحسنات؛ وهي ما أمر به سبحانه من طاعته وطاعة أنبيائه!.

والجواب: أنه ليس أحد من المؤمنين إلَّا وله ذنب من ترك مأمور أو فعل محذور؛ كما قال ﷺ : «كل بني آدم خطاء، وخير الخطَّائين التوَّابون» [5]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ

---

(١) المؤمنون: ٦٠.

(٢) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) واللفظ له، وصححه الحاكم (٣٤٨٦)، ووافقه الذهبي، والألباني في (الصحيحة)(١٦٢).

(٣) انظر (التوبة والاستغفار) (ص: ٢٠٢)، و(جامع الرسائل)(١/ ٢٥٧).

(٤) النور: ٣١.

(٥) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وحسنة الألباني في(صحيح الجامع) (٤٥١٥).

رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[(١)]، وقال ﷻ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[(٢)]؛ فهذا يشمل جميع المؤمنين، يُكفِّر عنهم سيئاتهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : «وأصل هذه المقالة؛ وهو دعوى العصمة في المؤمنين وما يشبه ذلك من أقوال الغالية من النصارى وغالية هذه الأُمَّة؛ ابتدعها في المِلَّتين منافقوها»[(٣)].

ثم ذكر غلوَّ النصارى باتخاذهم المسيح وأُمَّه إلهين من دون الله، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وغلوَّ الشيعة في دعوى العصمة، وابتداعهم القول بعصمة عليٍّ رضي الله عنه ؛ وذلك أعظم مما يعتقده المؤمنون في عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وزعمهم أن الأئمة الأثني عشر معصومون حتى عن الخطأ في الاجتهاد ونسيان العلم، وادعوا عصمتهم من الكبائر والصغائر؛ وهم أول من أظهر القول بأن في المؤمنين من لا ذنب له.

وغلوَّ الصوفية؛ فزعم بعضهم في بعض المشايخ أو فيمن يقولون إنه وليُّ الله تعالى أنه لا ذنب له.

ومنهم من يعتقد في بعض المشايخ من الإلهية ما اعتقدته الغالية في عليٍّ، ويزعم أن الشيخ يخلق ويرزق ويُدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار، ويدعوه من دون الله تعالى؛ وهذا شرك واضح.

---

(١) الزمر: ٣٣-٣٥.

(٢) الأحقاف: ١٦.

(٣) (التوبة والاستغفار) (ص: ٢٠٣)، و(جامع الرسائل) (١/ ٢٥٩).

ثم قال رحمه الله : «... فقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف: أنه ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب، وإذا أخطأ تبيَّن له الحق فرجع إليه، وليس هذا واجبًا لأحد بعد رسول الله ﷺ ، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله، وقد خفي عليه من دقيق العلم مالم يعرفه...

واتفقوا على أنه ليس من شرط وليِّ الله أن لا يكون له ذنب أصلًا؛ بل أولياء الله تعالى هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [1]، ولا يخرجون عن التقوى بإتيان ذنب صغير لم يُصرُّوا عليه، ولا بإتيان ذنب كبير أو صغير إذا تابوا منه ...» [2].

وقال أيضًا : «والفريق الثاني: قوم من أهل الكلام من المعتزلة ومن تبعهم زعموا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون مما يتاب منه، وأن أحدًا منهم لم يتب عن ذنب، وحرفوا نصوص الكتاب والسُّنَّة؛ كعادة أهل الأهواء في تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

وقد اتفق سلف الأُمَّة وأئمتُها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه وما ثبت عن رسوله ﷺ ؛ من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وعصمتهم : هي من أن يُقَرُّوا على الذنوب والخطأ، فإن سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم الله فيتوب عليهم، ويُبيِّن لهم ...» [3].

ثم ذكر توبة الأنبياء آدم ونوح وداود وسليمان وموسى وغيرهم صلوات الله

---

(١) يونس: ٦٢-٦٣.

(٢) (التوبة والاستغفار) (ص: ٢٠٨-٢٠٩)، و(جامع الرسائل)(١/ ٢٦٦-٢٦٨).

(٣) (التوبة والاستغفار)(ص: ٢١٠)، و(جامع الرسائل)(١/ ٢٦٨-٢٦٩).

وسلامه عليهم؛ وقد تقدم بعض ذلك في المبحث السادس والعشرين.

وخلاصة هذا المبحث: أن الاستغفار والتوبة من فعل الحسنات لا يجوز وهو حرام؛ لأن فيه مضادة لمراد الله ورسوله؛ وقد يصل بصاحبه إلى الكفر المُخرج عن ملة الإسلام(١).

والله تعالى أعلم

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

(١) هذا المبحث استفدته من رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (التوبة والاستغفار)، وهي مطبوعة ضمن (جامع الرسائل) لابن تيمية (١/ ٢١٧-٢٧٩)، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.



الخاتمة

أقول في ختام هذه الرسالة: أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في عرض هذا الموضوع المُهمِّ الذي تحصل وتكمُل به مصالح الدين والدنيا والآخرة، والذي غفل عن أهميته، وذهل عن فائدته أكثر الناس.

فانتبه أيها المسلم لأعظم مصالحك، واحرص على ما ينفعك واستعن بالله تعالى، ولا تعجز فتضيع حظك من الخير.

والله تعالى أعلم

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

كتبه

عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن يوسف سعادة

السودان – ولاية نهر النيل

عطبرة – كنور شرق

٢١ رجب ١٤٣٩هـ



فهرس الموضوعات

+